



روايات مصرية للجيب

رحلة قلب

زهور
١٢



Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٠٠ شارع ستيفانوس - القاهرة - ١١٥١١٠٠

د. نبيل فاروق

اختلط صراخ سيدة شابة ، في منتصف العشرينات
من عمرها ، بقصف القنابل المسموع في وضوح ، في
مدينة (بور سعيد) ، في أثناء حرب يونيو عام ألف
وتسعمائة وسبعة وستين ، وهي تعبر بوابة قسم الولادة ،
بمستشفى (بور سعيد) العام ، وهتفت السيدة العجوز
التي ترافقها ، في صوت لاهث ، متقطع الأنفاس :
- أسرعوا أيها الأطباء .. ابنتي تُلِدُ .. إنه طفلها
الأول .

كان الألم واضحاً في ملامح السيدة الشابة ، وفي
مخياها الجميل الرقيق ، مما دفع ممرضات المستشفى إلى
الإسراع لمعاونتها ، ونقلها إلى حجرة الولادة ، في حين
ألفت العجوز جسدها المنهك فوق مقعد متهاك ، وهي
تتضرع إلى الله - سبحانه وتعالى - أن يعاون ابنتها ،
وتعلق بصرها بطبيب شاب ، أسرع إلى قسم الولادة ،
واختنى في الحجرة التي حملت الممرضات ابنتها إليها ..

رحلة قلب

يا مركب الأتراح خوضي في الجراح
وابحني في بحر حزنك عن هوية
واصرخي وسط العواصف والرياح
صارت الأقدار تغتال القضية
أين قلبي ؟ هل هوى بين السواح ؟
أين نفسي ؟ ويلها سقطت ضحية

(نبيل)

كانت أنفاس العجوز تزداد ضيقاً وصعوبة ، مع
الانفعال الشديد الذى تملكها ، مع قلقها على ابنتها ،
وأسفها على غياب زوج ابنتها ، الضابط بالقوات
المسلحة ، فى مثل هذه الظروف ، وذلك التوتر الواضح
فى طرقات المستشفى ، مع وجود كل هذا العدد من
الجرحى ، الذين أنجبتهم معارك نكسة يونيو ، وانهماك
أطباء المستشفى جميعهم فى معالجة عشرات الجرحى ،
وإسعاف مئات المصابين ..

وتعلقت أبصار العجوز بحجرة الولادة ، وقد باتت
أنفاسها تعبر حلقها فى صعوبة رهيبة ، وانفعالها يتضاعف
ويتزايد ، وصراخ ابنتها يعبر أذنيها كخناجر مسمومة
حاددة ، تمزق نياط قلبها ، وتستقر فى حلقها ، لتعرق
مزيداً من أنفاسها ..

وفى حجرة الولادة كان الطبيب الشاب يحاول
بذل أقصى جهده ، لمعاونة الأم الصغيرة ، التى بدت
شديدة الضعف والتخاذل ، وارتفع نبض قلبها إلى
الذروة ، مع انقباضات رحمها ، الذى يبذل بدوره

***** ٦ *****

جهداً كبيراً للفظ الجنين ، الذى يجاهد للتحرر منه ..
التفتت إحدى ممرضات القسم إلى الطبيب الشاب ،
وقالت فى قلق :

— هل تظن أنها ستحتمل يا دكتور (صبرى) ؟
عقد الدكتور (صبرى) حاجبيه ، وترك ممرضة أخرى
تجفف العرق الغزير المتصبب على وجهه ، وهو يغتم :
— لست أدري ... إنها تبدو شديدة الضعف ،
وأخشى أن

لم يتم عبارته ، ولكن الأسف الواضح فى ملامحه
أوضح ما يعنيه ، ولكنه ظل يبذل أقصى جهده لإنقاذ
الأم وبناتها ، حتى لم يعد يسمع قصص القنابل ،
وتحركات زملائه القلقة فى أروقة المستشفى ..

وأخيراً التقطت يداها الجنين الصغير ، وأسرع يعقد
رباط سرته ، وهو يقول فى انفعال :

— إنها طفلة جميلة .. تشبه أمها تماماً .
خفق قلب الأم الصغيرة فى شدة ، وهى تهتف فى
صوت وصل إلى ذروة ضعفه :

***** ٧ *****

— طفلة ١٩.. دعني أرها بالله عليك .

ولكنها لم ترها أبداً ...

لم يحتمل قلبها الضعيف هذه الخفقة الأخيرة ، فسكن واسترخى ، بعد أن اطمأن إلى خروج الجنين إلى الحياة ..

يا لها من لحظة ، انبعثت فيها الحياة وخبّت !!

ارتفع صراخ المولودة الصغيرة ، وسكن فيها صوت الأم الشابة ..

لحظة أعطت للعالم حياة جديدة ، وسلبت منها حياة أخرى ..

وترقرقت الدموع في عيون المرضعات ، وبكى الطبيب الشاب ، وهو يحاول في يأس إنقاذ الأم الشابة ، وإعادة الأنفاس إلى صدرها الساكن ..

وأخيراً توقفت محاولته ، وسالت دموع الحزن على وجهه ، ونمغمت إحدى المرضعات وهي تبكي :

— ألا يوجد ما نلف به جسد الصغيرة ؟

أشارت ممرضة أخرى إلى الخارج ، وقالت :

***** ٨ *****

— هناك سيدة عجوز كانت تصحب الأم — رحمها

الله — وربما كان معها ما يفيد .

قالت عبارتها وأسرعت إلى الخارج ، ثم لم تلبث أن عادت وهي ترتجف من فرط الانفعال ، وقالت في صوت مرتعد ، حزين :

— ربّاه !! لقد لفظت العجوز أنفاسها بدورها ،

وهي تجلس على مقعدها في الخارج ..

سادت الدهشة لحظة في حجرة الولادة ، واختلطت بشفقة شديدة نحو الطفلة الصغيرة ، التي جاء مولدها مرادفاً لموت أمها وجدتها ، ثم أسرع الدكتور (صبرى) ينزع معطفه الأبيض ، ويناوله إلى إحدى المرضعات ، وهو يقول في لهجة مشفقة حزينة :

— سيؤدّي هذا الغرض .

ثم أردف في حزن :

— أي اسم ستحمل هذه الصغيرة الجميلة يا ترى ؟

نمغمت إحدى المرضعات :

***** ٩ *****

— إننا لا نعلم حتى اسم أمها ، فقد جاءت في رداء النوم كما ترى .

التقط الدكتور (صبرى) الطفلة الصغيرة ، التي استكانت داخل معطفه الأبيض ، وداعب رأسها الصغير في شفقة وحنان ، وهو يغمغم :

— كل مخلوق في هذه الدنيا لا بد وأن يحمل اسماً ما .

قالت إحدى المرضيات ، وهي تتأمل الصغيرة في شفقة :

— يبدو أن الصغيرة ستكون أول استثناء للقاعدة يا دكتور (صبرى) ، فن العسير في ظل هذه الظروف أن نبحث عن والدها ، أو نحفظ حتى يجثى أمها ، وجدتها ، حتى يتعرفهما أحد ، فالحرب قد

قاطعها الدكتور (صبرى) ، وهو يضم الصغيرة إلى صدره :

— حتى في هذه الحالة أيضاً ، لن تستثنى الصغيرة من القاعدة ، وستحمل اسماً بالضرورة .

قلبت إحدى المرضيات كفيها ، وقالت :

— ولكن أى اسم ؟

ساد الصمت لحظة في حجرة الولادة ، تأمل الدكتور (صبرى) خلالها وجه الصغيرة الرقيق ، ثم لم يلبث أن ضمها إلى صدره ، وهو يقول في حزم :

— لو لم تمنح الظروف هذه الصغيرة فرصة حمل اسم والدها الأصلي ، فستحمل اسماً مألوفاً لذيكن .

ثم أردف في حنان :

— اسم (صبرى مختار) .

وعادت عيون الجميع تمتلئ بالدموع ..



القاهرة عام ألف وتسعمائة وستة وثمانين ..
أوقف الدكتور (صبرى مختار) ، طيب أمراض
النساء والتوليد الشهير ، سيارته الأنيقة أمام قلته الهادئة ،
في أرقى أحياء العاصمة ، وهبط منها وهو يتنسم تلك
الابتسامة ، التي لا تفارق وجهه أبداً ، وعبر باب القبلا
بخطواته الهادئة ، ووجهه الوسم ، وشعره الأشيب ،
الذى غمر قوديه عن آخرهما ، فنحه مظهراً وقوراً
متزناً ، واتسعت ابتسامته في حنان غامر ، حينما رأى
ابنته (سهام) ، وهي تسرع إليه في مرح وسعادة ،
وتتعلق بعنقه ، وهي تهتف بلهجتها الرقيقة :
- أوحشتنا كثيراً يا أبتاه .. إننا لا نراك إلا ليلاً ،

منذ بدأت في إقامة مستشفائك الخاص .

قبّل وجنتها في حنان ، وهو يقول :

- هذه ضريبة النجاح يا بني .

عقدت حاجبها الجميلين ، وهي تقول في اعتراض :

- ولكننا نحرم رؤيتك .

رُبّت على كنفها في حنان ، وقال :

- ألا أصحبك دائماً إلى نزاهات جميلة أيام الجمع ؟

ضحكت في مرح ، وهي تحيط عنقه بذراعيها ،

وتقبّل وجنته ، قائلة :

- هذا لا يكنى يا أبى .

ابتسم ، وهو يسألها ، محاولاً الفرار من نقاشها :

- أين أمك ، وشقيقتك ؟

ضحكت ، وكأنما تنهت إلى محاولته ، وقالت :

- أمى في المطبخ ، تصرّ كعادتها على إعداد الطعام

بنفسها ، على الرغم من اعتراض (شوقية) ، و (منى)

في حجرتها ، تستمع كالعادة إلى أحدث التسجيلات

الموسيقية .

ضحك ، وهو يقول :

- ما رأيك أن نفاجتهما ؟

تألق المرح في عينيها ، وقالت في همس :

- نعم .. سيكون ذلك طريفاً .

سارا على أطراف أصابعهما إلى المطبخ ، كطفلين

مرحين ، وتوقفا لحظة أمام بابه ، يستمعان إلى الخادمة
(شوقية) ، وهي تقول في اعتراض :

— لن تكون رائحة الطعام شهية ، دون إضافة كمية
كافية من التوابل يا سيدي .

أجابتها الأم في اعتراض مماثل :

— لو أنك تجيدين الطهو ، لعلمت أنه ثمة وسائل
أخرى لإعطاء الطعام رائحة شهية ، دون استخدام مزيد
من التوابل يا (شوقية) .

غمغمت (شوقية) في غضب :

— ولكنني أجيد الطهو بالفعل .

أطلقت (سهام) ضحكة مرحة ، جذبت انتباه
الأم والخادمة ، في حين اتسعت ابتسامة الدكتور
(صبرى) ، وهو يقول :

— سنقيم يوماً مسابقة للطهو بينكما ، لحسم هذا
الخلاف .

تهللت أسارير الأم ، وقالت في سعادة :

— سأفوز حتماً يا زوجي العزيز ، مرحباً بعودتك
إلى المنزل .

في حين غمغمت (شوقية) في اعتراض :

— من يلزمى ؟

ضحك الجميع في مرح ، وعادت الأم تهمل في
إعداد الطعام ، وهي تقول :

— والآن ممنوع على الرجال الدخول إلى المطبخ .

رفع الدكتور (صبرى) حاجبيه في دهشة مصطنعة ،
وهو يقول :

— هذا يعنى أنني الوحيد المعنى بهذا القرار في الفيلا .

ثم جذب (سهام) من يدها ، وقال :

— دعينا نصعد إذن إلى حجرة (منى) .

كانت أصوات الموسيقى العالية تبدو واضحة ،
حتى قبل أن يفتح الأب باب حجرة ابنته ، التي كانت
ترقد مغمضة العينين على فراشها ، ويداها تتماوجان في
الهواء ، مع نغمات الموسيقى العالية ، حتى أنها لم تشعر
بدخول والدها وشقيقتها ، إلا عندما جلس الوالد على
طرف الفراش ، وهتف في صوت مرتفع :

— هل يمكننا الدخول ؟

فتحت (منى) عينيها في دهشة ، ثم اتسعت ابتسامتها ،

وهي تتعلق بعنق والدها ، وتصيح في فرح :

— لقد دخلتما بالفعل يا أبى .

أوقف الدكتور (صبرى) سيل الموسيقى ، وقال
وهو يتنسم :

— ألا تؤذى هذه النغمات المرتفعة أذنك يا (منى) ؟
تألق خبث مرح في عينيها ، وهي تضع كفها خلف
أذنها ، وتقول :

— ماذا تقول ؟ لئن لم أعد أسمع شيئاً .

ضحك الجميع في مرح ، وقال الوالد وهو يقرص
(منى) من وجنتها مداعباً :

— أرأيت ؟ ها قد أصابك الصمم في سن مبكرة .
أغلقت عينيها ، ولوحت بكفها في الهواء ، وهي
تقول في لهجة مسرحية :

— الصمم فقط ؟ .. لئن لم أعد أرى شيئاً .. هل
أغلقت النواهد ؟

هكذا كانت حياة أسرة الدكتور (صبرى مختار)
الصغيرة ...

كانت أسرة متحابة مناسكة ، تضج بالمرح والسعادة
والأمان ..

وكان هذا المرح يتبدى دائماً حول مائدة العشاء ،
حيث يتبادل الجميع الدعابات ، والمناقشات المرحية ،
وحيث تلتقى الأسرة كلها عادة ..

كانت أسرة صغيرة ، تتكون من أب حنون ،
وأم حانية ، و (سهام) ، التى يتألق جمالها طوال
الوقت ، و (منى) ، التى لا يفارقها المرح أبداً ..

كانت الفتاتان مثالا للجمال والرقية ، فكلتاها رقيقة
الملامح ، رقيقة الجسد ، وإن اختلفت ملامحهما كثيراً ..

(سهام) مستديرة الوجه ، سوداء الشعر ، ناعمة ،
ينسدل شعرها على كتفيها حرّاً طليقاً ، ليحيط بحاجبيها
الرفيعين ، وعينيها الواسعتين ، السوداوين ، وأنفها
الدقيق الرقيق ، وشفتيها الرفيعتين الحمراروين ..

أما (منى) ، فلها وجه أقرب إلى الاستطالة ،
وشعر كستنائى ناعم قصير ، تحرص دائماً على تصفيفه
في عناية ، وحاجباها منمقان ، ممتلئان بعض الشيء ،
عند مقارنتهما بحاجبي (سهام) ، يرتفعان فوق عينيها

كعيون المها ، عسليتي اللون ، براقتين ، يفسدل من
بينهما أنف مستقيم ، ينتهي فوق شفتين صغيرتين ،
مكتظتين ، كالفاكهة الناضجة ، وذقن دقيقة جميلة ..
ومن العسير أن يعلم المرء أيهما أقرب شياً لوالديهما ،
فالدكتور (صبرى) مستطيل الوجه كـ (منى) ، أسود
الشعر كـ (سهام) ، وعينه عسليتا اللون مثل (منى) ،
ولكن شفتيه رفيعتان تماماً مثل (سهام) ، وزوجته
مستديرة الوجه ، دقيقة الأنف مثل (سهام) ، ولكنها
بملاك شعراً كستنائياً ، وعينين سوداوين وشفتين
مكتظتين مثل (منى) ..

ولكن الأسرة كلها كانت تتميز بالوصامة والجمال ..
والحب ..

في تلك الليلة ، وحول مائدة العشاء ، تأمل الدكتور
(صبرى) أسرته الجميلة في حنان ، قبل أن يقول في
هدوء :

— لدى مفاجأة صغيرة ، ادخرتها حتى ينتهى العشاء .
رفع الجميع رؤوسهم إليه في اهتمام وفضول ،
وهتفت الأم :

— هلم بها إذن ، قبل أن نتناول الفاكهة .
ابتسم وهو يتأمل وجوههن لحظة ، قبل أن يقول :
— لقد انتهى العمل بالمستشفى الجديد .
تهللت أساريرهن في سعادة ، وهتفت (منى) في مرح :
— يا إلهي !! .. أخيراً ؟

في حين سألته الأم في فرح :

— ومنى يتم افتتاحها يا (صبرى) ؟
اعتدل في مقعده ، وقال وقد اتسعت ابتسامته ،
وامتلأت بالسعادة :

— هذه هي المفاجأة الحقة ، فكلكم مدعوون صباح
الغد لافتتاح مستشفى الدكتور (صبرى) للولادة .

ارتفع هتاف الفرح من أفواههن ، واندفعن
يعانقنه في سعادة ، وبدأت الفيلا في هذه اللحظة مهدداً
للسرور والحبور ..

ولكن القدر كان يدخر للأسرة الصغيرة مفاجأة
أخرى ..

مفاجأة بلا موعد ..



تأملت (سهام) و (منى) المستشفي الجديد في سعادة ،
وقالت (سهام) ، وهي تحتضن كف شقيقتها في وُدٍّ :
- هل كنت تتصورين أن يمتلك والدنا هذا المستشفي
الأنيق يا (منى) ؟

هزت (منى) كتفها ، وقالت :

- ولم لا ؟ .. إنه أكثر أطباء القاهرة شهرة ، في
مجال طب النساء والتوليد .

وافقتها (سهام) بإشارة من رأسها ، وثلفت
حولها ، وهي تقول :

- أين أمي ؟ .. إنني لم أرها منذ لحظة الافتتاح .

ابتسمت (منى) في مرح ، وقالت :

- أخشى أن تكون في مطبخ المستشفي ، تصرّ على
طهو طعام المرضى بنفسها .

ضحكت (سهام) لدعابة شقيقتها ، وقبل أن تلتق
تعليقاً مماثلاً ، سمعت كلتاها صوت الأم تقول :

- أين أنتم ؟ .. إننا ننتظر في حجرة والدكما منذ
نصف ساعة .

همت (منى) :

- يبدو أنها قد انتهت من إعداد الطعام .

ضحكت (سهام) ، وهي تجيب أمها :

- كنا نتفقد المستشفي يا أماه .

ابتسمت الأم في حنان ، وقالت :

- حسناً .. والدكما ينتظركما في مكتبه .

تبعتهما الفتاتان في هدوء إلى مكتب والدهما ، وما أن

ولجته حتى توقفتا ، فقد وقعت عيناها على شاب وسيم ،

ممشوق القوام ، واضح الرجولة ، يقف إلى جوار

والدهما في احترام ، وهتف والدهما حينما رآهما :

- أين أنتم ؟ .. أريدكما أن تقابلا الدكتور (أشرف)

شعلة النشاط هنا .

التفت إليهما الشاب في هدوء واتزان ، وبدا وكأنه

يتأمل ملاحظتهما في إمعان ، قبل أن يتسم ابتسامة جدابة ،

ويقول :

- تسعدني مقابلتكما .

تأملتا ملاحظته الوسيمة بدوريهما ..

كان يحمل وجهاً مستطيلاً ، متناسقاً ، حليقاً ،

يضم حاجبين كثيفين ، وعينين خضراوين نفاذتين ،
يلوح للمتطلع إليهما أنهما تخترقان أعماقه ، وتسيران
أغواره في ثقة واتزان ، وأنف مستقيم يميل إلى الطول ،
وشفتين رفيفتين ، وذقن عريضة ، بغوص في منتصفها
طابع حسن غائر ..

ساد الصمت لحظة ، وهما تتأملان ملامحه الوسيعة ،
قبل أن يقول الدكتور (صبرى) :

— الدكتور (أشرف) هو أكثر من رأيت من
شباب الأطباء ، نشاطاً وإخلاصاً ومهارة ؛ لذا فقد
حرصت على ضمه إلى مستشفى الجديد ، وأنا واثق
من أن شأنه سيعلو قريباً .

ابتسم الدكتور (أشرف) ، وقال في صوت خافت :
— شكراً لحبامتك يا سيدى .

ربت الدكتور (صبرى) على كتفه ، وقال في حنان :
— إنها الحقيقة يا بنى .

شعرت (سهام) بحرارة تسرى في عروقها ، وهى
تأمل ملامح الدكتور (أشرف) ، وتصاعدت دماء
الحجل إلى وجنتيها ، حينما بدأ عقلها يقارن بينه وبين

فلرس الأحلام ، الذى يراود خيالها وأحلامها منذ
زمن ، فأسرعت تنفض الفكرة عن رأسها ، وقالت
في صوت خافت مضطرب :

— هل تسمح لنا بتفقد المستشفى يا أبى ؟

هتف الوالد فى حماس :

— بالطبع يا (سهام) .

ثم أشار إلى (أشرف) مستطرداً :

— هلاً عاوتهما فى ذلك يا دكتور (أشرف) .

عادت دماء الحجل تندفع إلى وجه (سهام) دون
مبرر ، فى حين ابتسم (أشرف) ابتسامة رقيقة ، وقال :
— يسعدنى ذلك يا سيدى .

لم تستطع (سهام) تفقد المستشفى الصغير فى ذلك
اليوم ..

صحيح أنها سارت إلى جوار (منى) و (أشرف)
طوال الوقت ، واستمعت إلى كل كلمة نطق هو بها ،
ولكن عقلها لم يكن يستوعب حرفاً واحداً ..

كان عقلها وقلبها منشغلين بتفقد (أشرف) نفسه ،
وكانها تريد معرفته أكثر ..

كانت تتأمل ملامحه طوال الوقت ، وإعجابها
يتزايد برجولته واتزانه ، حتى انتهت الجولة في المستشفى ،
والتفت هو إليها بابتسامته الجذابة ، وهو يقول :

— هل أعجبك المستشفى يا آنسة (سهام) ؟
تلعثمت ، وتضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغمغم :
— نعم .. كثيراً .

بدا لها أن الاهتمام كان يغلف صوته ، وهو يقول :
— هل ستحضرين لزيارتها مرة أخرى ؟
وجدت نفسها تهتف في حرارة :

— بلا شك .
أعقب متافها شعور قوى بالخجل ، خاصة حينما
قالت (منى) في مزح :
— أينطبق هذا السؤال عليها وحدها ، أم أنه
يمكنني مصاحبتهما ؟

ابتسم (أشرف) ، وقال في هدوء واتزان :
— لا مجال لهذا السؤال يا آنسة (منى) ، أنسيت
أنه مستشفاً كما ؟

تألق خبث مزح في عيني (منى) ، وهي تقول :

***** ٢٤ *****

— آه .. حقاً .. كدت أنسى ذلك .

شعرت (سهام) بالخجل لأول مرة من مزح شقيقتها ،
وقالت في صوت خافت :

— سنلتقي مرة أخرى — بإذن الله — يا دكتور
(أشرف) .

أدهشتها ابتسامته ، ولهجته ، وهو يقول :
— أتمنى ذلك .

ظلت هذه العبارة الأخيرة تملأ كيائها ومشاعرها ،
طوال طريق العودة ، وظلت هي شاردة ساهمة ، وهي
تجلس إلى جوار شقيقتها في المقعد الخلفي للسيارة ، حتى
مالت نحوها (منى) ، وهمست في مزح :

— أهو وسيم جذّاب إلى هذا الحد ؟
التفتت إليها في دهشة ، وتضرج وجهها بحمرة
الخجل ، وهي تهتف :
— من تعين ؟

ابتسمت (منى) في خبث ، وقالت :
— ذلك الوسيم ذو العينين الخضراوين ، الذي لم
يرفع عينيه عنك طوال الوقت .

***** ٢٥ *****

أدهشها أنها لم تلاحظ ذلك ، فغمغمت بمزيج من
الحجل واللهفة :

— أفعل حقاً ؟

رفعت (منى) حاجبها في دهشة مصطنعة ، وهي
تقول في مرح :

— أتحاولين خداعي يا شقيقتي العزيزة ؟

هست (سهام) ، وكأنها تخشى أن يسمعها سائق
السيارة :

— أقسم أنني لم ألاحظ ذلك .

ضحكت (منى) في مرح ، وقالت :

— عجباً !! لقد كان من الواضح أن كليكما قد
جذب انتباه الآخر تماماً ، حتى أنني شعرت بالإهمال
والحجل .

عقدت (سهام) حاجبها ، متظاهرة بالصرامة ،
وإن لم تنجح في إخفاء رنة القرح في صوتها ، وهي
تقول :

— (منى) .. كفى مزاحاً .

عادت (منى) تضحك مرة أخرى في مرح ، قبل
أن تهمس :

— صدقيني لقد شعرت وكأنني حارس ثقيل ،
لخطيبين في نزوة خلوية .

ازداد تخضب وجه (سهام) بحمرة الحجل ، وهي
تغمغم في استنكار واه :

— (منى) ؟

هزت (منى) كتفها ، وقالت في هدوء :

— ولكنني أعتقد أن انطباعكما الأول لا يكفي ،
فلا بد لكما من التعارف أكثر .

أحنت (سهام) رأسها في خجل ، وغمغمت :

— وكيف يحدث هذا ؟

ابتسمت (منى) في خبث ، وقالت :

— ربما حينما تذهبين إلى المستشفى غداً .

عقدت (سهام) حاجبها ، وقالت في اعتراض :

— سيثير هذا دهشة والدنا ، فنحن لم نعتد زيارته

في عمله .

٤ - لقاء ومفاجأة .

ارتجف قلب (سهام) عندما وقعت عينها على وجه (أشرف) ، في اليوم التالي ، وعادت حمرة الخجل تملأ وجهها ، حينما اندفع نحوها متهلل الأسارير ، وصافحها في حرارة ، وهو يقول :

- يا للمفاجأة السارة !! لم أتوقع رؤيتك ثانية بهذه السرعة .

غمغمت وهي تخفض عينها :

- لقد نسيت (منى) حقيبتها هنا ..

قاطعها ، وهو يهتف في حرارة :

- المهم أننا التقينا ثانية .

ملأت عبارته قلبها بالسعادة ، وارتبكت ، وهي تبحث عما تنطق به ، حتى غمغمت :

- هل والدى هنا ؟

ابتسم وهو يقول :

- نعم ، ولكنه منشغل في إجراء عملية قيصريّة عاجلة .

تألقت ابتسامة (منى) في مرح ، وهي تقول :

- ومن قال إنها زيارة ؟ .. ستذهبن لاستعادة حقيبتى ، لأننى سأكون مشغولة في المنزل .

حدقت (سهام) في وجهها بدهشة ، وهي تتمم :

- حقيبتك ؟

أومأت (منى) برأسها إيجاباً ، وقالت في خبث :

- نعم .. يبدو أننى قد نسيتها هناك .

ثم أردفت :

- بعد أن لاحظت احمرار وجهك خجلاً .

ابتسمت (سهام) ، وعانقت شقيقتها بعينها في امتنان ، ثم همست وهي تربّت على كتفها في حرارة :

- شكراً يا (منى) .

واسترخت في مقعدها وهي تنهد في ارتياح وانفعال ، وتحتفل في أعماق قلبها بحفل افتتاح خاص .. افتتاح قصة حبها ..

فوجئت به يلتقط كفها الصغيرة في راحته الدافئة ،
ويقودها في هدوء إلى حجرة والدها ، وهو يستطرد :
— هل تعلمين أن والدك من أبرع أطباء النساء
والتوليد في مصر كلها ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وهي تغغم :

— نعم .. الجميع يقولون ذلك .

شعرت بتهدج صوته ، وهو يتابع في همس :

— وأنتك أجمل فتاة في العالم أجمع ..

ارتجفت كفها في راحته ، وخفق قلبها وهي تغغم

في اعتراض متخاذل :

— دكتور (أشرف) !

تنحنع في خجل ، وترك كفها ، وهو يستعيد

لهجته الرصينة ، قائلاً :

— علمت من الدكتور (صبرى) أنك وشقيقتك

طالبتان في كلية آداب القاهرة .

نعمت :

— نعم .

***** ٢٠ *****

صمت لحظة ، وهو يفتح باب حجرة والدها ،
ويدعوها للدخول ، ثم استطرد :

— من العجيب أنكما لا تتشابهان أبداً ، حتى أنه
من العسير على المرء تصور أنكما شقيقتان .

ضحكت في ارتباك ، وقالت :

— كثيرون يقولون هذا أيضاً .

ابتسم ، وقال في هدوء ورزاقنة :

— أنما متقاربتان في السن ، أليس كذلك ؟

أجابته في مرح مصطنع :

— بلى .. تقارب ينلر تواجدته ، فد (منى) تكبرنى

بسبعة أشهر بالضبط ..

عقد حاجبيه لحظة ، ثم ابتسم وهو يقول :

— لا ريب أنك تمزحين ، فهذا مستحيل .

ضحكت في مرح ، وقد بدأ حاجز التوتر بينهما

بنوب ، وقالت وهي ترفع عينيها إلى عينيه لأول مرة :

— أرايت كيف أدهشك ذلك ؟ .. لقد كان مبصراً

تندّر دائماً بين رفيقاتنا و ...

***** ٢١ *****

قاطعها في هدوء :

— مستحيل يا آنسة (سهام) .

تطلعت إليه في دهشة ، وهي تغتمغ :

— لماذا ؟.. ألم تر في حياتك كلها طفلة تولد بعد

سبعة أشهر من الحمل ؟

أجابها في رصانة :

— رأيت العديدات ، ولكن هذا يتوقف على الفترة

التي يستغرقها الحمل ، وهذا يعتمد بالضرورة على

حدوث الحمل ذاته .

عقدت حاجبها ، وهي تقول :

— حسناً .. لقد حملت في أمي بعد ولادتها لـ (منى)

مباشرة و ...

قاطعها مرة أخرى :

— هذا هو المستحيل يا آنستي .

ثم ابتسم ، وكأنه يكشف دعابتها ، وقال في هدوء :

— الحمل لا يحدث بعد الولادة مباشرة ، فهناك

سنة أساييم تعقب الولادة ، تكون فيها الأم غير مخصبة ،

*** ٣٢ ***

ولا يمكن خلالها حدوث الحمل ، بأي صورة من
الصور .

بدت لها عبارته عجيبة غير مفهومة ، وظلت تحدق

في وجهه بدهشة ، قبل أن تغتمغ :

— ماذا تعني يا (أشرف) ؟

لم تنتبه إلى أنها خاطبته باسمه مجرداً ، وكأنهما

صديقان قديمان . ولكنه انتبه إلى ذلك ، وشعر بالسعادة

تغمر قلبه ، حتى أنه صمت طويلاً ، وهو يتأمل

ملاعنها ، قبل أن يتنهّد ، ويقول في هدوء :

— أعني أنه من المستحيل أن تكبرك شقيقتك

بسبعة أشهر فقط ، فالحد الأدنى لفارق العمر بينكما

لا بد أن يكون ثمانية أشهر ونصف .

كان أثر العبارة التي ألقاها في هدوء وثقة ، قوياً

على (سهام) ، فانسعت عيناها في ذهول ، وغتمغت في

قلق رهيب :

— ألا يمكن أن يحدث هذا أبداً ؟

أجابها في هدوء :

*** ٣٣ ***
(٣ - زهور - رحلة قلب)

— أبداً .

ثم أردف ، وهو يعقد حاجبيه :

— إلاً إذا ..

اندفعت (سهام) بجسدها كله إلى الأمام ، وهي تسأله في لطفة :

— إلاً إذا ماذا ؟

تردد لحظة ، ثم أجاب في ارتباك :

— إلاً إذا لم تكونا شقيقتين .

اتسعت عينا (سهام) في فزع ، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها صرخة ملقاة ، تهتف في دعر :

— (أشرف) !؟

كانت صرخة الدكتور (صبرى) ، الذي وقف على باب حجرته ، ممتقع الوجه ، زائع البصر ، تلوح اللوعة في كل خلجة من خلجات وجهه ..

كانت ملامحه المذعورة اعترافاً بصحة كل كلمة نطق بها (أشرف) ، حتى أن (سهام) تراجعت في دعر ، وهي تردد في ذهول :

— مستحيل .. هذا غير صحيح .. غير صحيح .

ونغم (أشرف) ، وقد هاله ما فعل :

— يا إلهي !! .. إننى لم أقصد ذلك .

أما الدكتور (صبرى) ، فقد تقدم نحو ابنته ، وقد شحب وجهه ، وهو يقول :

— (سهام) .. ابنتى .

تراجعت أمامه ، وهي تردد في ذهول :

— ابنتك !؟

تمزق قلبه ، وهو يواصل تقدمه نحوها ، ويسألها في إشفاق :

— هل شعرت يوماً بغير ذلك ؟

رددت مرة أخرى في ذهول :

— شعرت !؟

أحاطها بذراعيه في لوعة وحنان ، وهو يغمغم :

— ابنتى الحبيبة .

ظلت تحدق في وجهه ، وهي تغمغم :

— و (منى) !؟

هتفت في ألم :

— أنتما ابنتاي .. كلتا كما تحتل جزءا كبيرا في قلبي .

نقلت بصرها بينه وبين (أشرف) ، الذي وقف

يراقب الموقف في شحوب ، وقد اعتراه ندم هائل ،

ونغممت في صوت خافت :

— كلاً .

ثم تحولت نغممتها إلى صراخ مستنكر ، وهي نقلت

من بين ذراعي الدكتور (صبري) ، مكررة :

— كلاً .

مد الدكتور (صبري) كفه إليها ، وهو يقول

في ضراعة :

— (سهام) .. ابنتي .

هتفت (سهام) في توتر بالغ :

— أيتنا ابنتك يا دكتور (صبري) ؟ .. أيتنا تحمل

اسمك حقاً ؟ .. أنا أم (منى) ؟

قال في صوت ضعيف واهن :

— كلتا كما يا بنيتي .

***** ٣٦ *****

صرخت في ألم :

— لا .. لا تواصل خداعي .. لقد كشف القادر

حقيقة الأمر .

ثم تعلقت بمعطفه الطبي ، وهي تصرخ :

— أيتنا ابنتك ؟ .. أنا أم (منى) ؟

ترقرقت الدموع في عينيه ، وهو يغمغم :

— (سهام) .. أرجوك .

تراجعت بعيداً عنه في ذعر ، ونقلت بصرها بينه

وبين (أشرف) في لوعة ، وقد تحولت رغبته في

معرفة الجواب إلى خوف هائل ..

خوف من مصير مجهول ..

من حقيقة قد تحطمها تحطيماً ..

واندفعت فجأة تغادر الحجرة ، وكأنها ترفض

سماع الجواب ..

وتركت خلفها قلبين ملتاعين ..

ساد الصمت طويلاً في حجرة الدكتور (صبري) ،

***** ٣٧ *****

الذى انهار على مقعده ، ودفن وجهه بين كفيه ، حتى
سمع (أشرف) يغمغم فى ارتباك :

— إننى لم أقصد يا دكتور (صبرى) .. لم أقصد
أبداً أن ..

قاطعه الدكتور (صبرى) فى ألم :

— أعلم ذلك يا ولدى .. أعلم ذلك .

هال (أشرف) رأى عيني الدكتور (صبرى)
المحمرتين اللامعتين ، وهو يرفعهما إليه مستطرداً فى
صوت خافت حزين :

— كانت الحقيقة ستتكشف حتماً .

اتسعت عينا (أشرف) ذعراً ، على الرغم من يقينه
بالأمر ، وغمغم فى دهشة :

— إذن فهذا حقيقى ! .. إحداهما حقاً ليست ابنتك .

أطرق الدكتور (صبرى) برأسه ، وارتفعت من
بين شفثيه همهمة باكية ، فهتف (أشرف) فى توتر
وانفعال :

— أيهما يا دكتور (صبرى) ؟ .. أيهما ؟

رفع إليه الدكتور (صبرى) عينيه مرة أخرى ،
وقال فى حزن :

— ومن يعنيه ذلك يا ولدى ؟

كاد يصرخ أن هذا يعنيه هو ..

يعنى قلبه الذى وقع فى حب (سهام) ..

يعنى المستقبل الذى بات ليلته يحلم به ويتمناه ..

إنه يعنيه .. يعنيه .. يعنيه ..



تحركت (منى) في حجرتها بقلق ، وهي تتطلع من النافذة بين الحين والآخر ، انتظاراً لعودة (سهام) .

كانت تشعر بالسعادة ؛ لأن الحب قد وجد طريقه إلى قلب شقيقتها ، وكانت تتلهف لعودتها ، لتعرف منها كيف كان لقاءها الثانى مع من أحببت ..

وأخيراً رأت (سهام) تعبر باب الفيلا . ولكنها لم تكن سعيدة ..

لم تكن هناك ذرة واحدة من السعادة في ملامحها . بل كان الحزن يغطى وجهها كله ، ويحيط به ويملاؤه .. أسرع (منى) تستقبل شقيقتها في قلق ، وسألها في لهفة :

- ماذا حدث ؟ .. هل كشفت أنه يحب أخرى ؟
تفجرت الدموع في عيني (سهام) ، وألقت نفسها بين ذراعى (منى) ، التي ارتجفت قلقاً ، وهي تضم شقيقتها إلى صدرها في حنان ، وتهتف في توتر :

***** ٤ *****

- ماذا حدث يا (سهام) ؟ .. ماذا حدث بالله عليك ؟

رفعت (سهام) عينيها إلى شقيقتها في حزن ، دون أن تجد ما يمكنها قوله ..

ولأول مرة في حياتها ، وجدت نفسها تبحث في ملامح (منى) عما يشبه الدكتور (صبرى) ، وزوجته .. توقفت عند وجه (منى) المستطيل ، وعينيها العسلتين ، وشعرها الكستنائى ، ولكنها سرعان ما عادت تتذكر شعرها هى الأسود ، وشفتيها الرقيقتين ، فصرخ السؤال مرة أخرى في رأسها :

- أيتها ابنة (صبرى مختار) ؟
عادت (منى) تسألها بمزيد من القلق والتوتر :
- (سهام) .. ماذا حدث بالله عليك ؟
نغمضت (سهام) وهى تبكى :
- لا شيء يا (منى) .. لا شيء .
لم تصدق (منى) عبارتها بالطبع ، فغمضت في قلق ، وهى تحتضن شقيقتها في حنان :

***** ٤ *****

— حسناً .. دعينا نصعد إلى حجرتي ، لتحدث
في هلوء .

استسلمت لها (سهام) ، وهي تقودها إلى حجرتها ،
وهناك جلست على طرف الفراش ، ودموعها تبلل
وجهها . ووقفت (منى) إلى جوار النافذة صامتة ،
تأملها في إشفاق ، ثم غمغت :

— والآن ماذا حدث ؟

حارت (سهام) في البحث عن جواب يرضى
فضول شقيقتها وقلقها ..

كان جزء من نفسها يريد الإفصاح عن السر ،
الذى ينوء به كاهلها ، لينزاح عنها عبء الاحتفاظ به ..
أما الجزء الآخر منها ، فكان يخشى الإفصاح بالسر
الرهيب ..

ربما لأنها لم تكن تعلم بعد أيتهما ابنة (صبرى مختار)
الحقيقية ..

أو ربما لأنها كانت تحب (منى) حباً قوياً ، جعلها
تخشى على مشاعر الرقيقة من سماع هذا الأمر المفزع .

***** ٤٢ *****

ربما هذا أو ذاك ، المهم أنها قررت عدم الإفصاح
عن حقيقة الأمر ، واكتفت بإبعاد عينيها عن عيني
شقيقتها ، وهي تقول :

— إنه لم يشعر بي على الإطلاق .

عقدت (منى) حاجبها ، وهي تغغم في شك :

— (أشرف) لم يشعر بك !؟

كانت كذبة غير متقنة ، ولكن (سهام) لم نجد
ما نقوله غيرها ، فهزت (منى) رأسها في تكذيب
واضح ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهي تشيح
بوجهها نحو النافذة ، ولكن شيئاً ما جذب انتباهها في
حدة ، فازداد انعقاد حاجبها ، وهي تحدق عبر النافذة ،
ثم استدارت نحو شقيقتها ، وقالت في صرامة :

— (سهام) ، الأمر أكبر مما قلت .. أكبر بكثير .

أطرقت (سهام) برأسها ، وغمغت في انكسار :

— ما الذى يجعلك تظنين ذلك ؟

أجابتها (منى) بنفس الصرامة :

— لقد عاد أبى الآن ، وهو يبدو متوتراً ، وهي

***** ٤٣ *****

المرّة الأولى التي يعود فيها إلى القبلا في مثل هذا الوقت المبكر .

شحب وجه (سهام) ، واضطرب قلبها ، وهي تهتف في مزيج من الدهشة والخوف :

— أبي ١٢ .. عاد ١٢

لم تكن دهشة الفتاتين بأقل من دهشة والدتهما ، التي حدثت في وجه زوجها ، وهي تغغم في قلق :

— ماذا حدث يا (صبرى) ؟ .. هل تشعر بأى نوع من التعب ؟

تضاعفت دهشتها حينما جذبها إلى حجرة مكتبه ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، فهتفت به ، وقد وصل قلقها إلى ذروته :

— ماذا حدث يا (صبرى) ؟

أجابها بصوت يقطر مرارة وحزناً :

— لقد عرفت (سهام) الحقيقة .

شحب وجهها ، ونهاوت فوق أقرب مقعد ، وهي تغغم :

***** ١١ *****

— يا إلهى !!

ثم رفعت إليه عينين دامعتين ، وسأله في صوت مرتجف :

— كيف ؟

شرح لها الأمر في صوت مرتجف حزين ، وأصغت إليه هي ودموعها تبلل وجهها ، حتى انتهى من حديثه ، فجفت دموعها ، وسأله في اهتمام :

— إذن فهمي لا تعرف الحقيقة كلها .

هز رأسه نفياً ، وقال :

— كلاً ، ولكن ما عرفته يكنى لتشتعل نيران الشك في قلبها دوماً .

غمغمت الأم في صوت معذب :

— الشك ١٢

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

— هذا الشك يعاون على حفظ السر .

سأله في دهشة :

— كيف ؟

***** ١٥ *****

ازدرد لعابه في صعوبة ، ثم قال :

— إنها ليست واثقة من الحقيقة ، ولو أن معرفتي بها كافية ، فهي لن تصارح شقيقتها أبداً .

عادت دموع الأم تملأ وجهها ، وهي تغغم :

— إنني أحب كليهما من أعماق قلبي .

أمسك الدكتور (صبرى) كتفها ، وحدق في

عينها ، وهو يقول في حنان :

— هذا شعورى أيضاً ، ولكننا أقسمنا على حفظ

السر ، أليس كذلك ؟

أومات برأسها موافقة ، فمد يده يجفف دموعها ،

وأجبر شفثيه على الابتسام ، وهو يقول في حنان دافق :

— والآن أريد منك أن تتحدثي إليها .

هتفت في خوف ودهشة :

— أنا ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— إنها لن تستمع إليّ ، ولكنها قد تستمع إليك .

لم تكن المهمة هيئة على مشاعر الأم ..

***** ٤٦ *****

كانت أشقّ مواجهة بينها وبين ابنتها ..

كان وجهها شاحباً ، والكلمات ترتجف على شفثيها ،

حينما ذهبت إلى حجرة (منى) ، وقالت لـ (سهام)

أمام شقيقتها :

— أريد أن أتحدث إليك وحدنا ، في حجرتي

يا (سهام) .

شعرت أن نظرات (منى) تخترق قلبها ، وتشعل

فيه النيران ، فأسرعت تغادر الحجرة إلى حجرتها ،

وجلست ترتجف على طرف فراشها ، حتى لحقت بها

(سهام) ، فقالت وهي تشير إلى باب الحجرة :

— أغلق الباب يا (سهام) .

أغلقت (سهام) باب الحجرة في إحكام ، وجلست

مطرقة الرأس إلى جوار والدتها ، دون أن تجرؤ إحداها

على التطلع في وجه الأخرى ، وخيّم الصمت على

مجلسهما لحظات ، قبل أن تقول الأم في صوت مرتجف :

— لقد أخبرني والدك بكل شيء .

أجابتها (سهام) في صوت خافت :

***** ٤٧ *****

— أهو والدي حقاً ؟

لم تجبها والدتها فوراً ..

ظلت صامتة طويلاً ، ثم أحاطت كتفها بذراعها ،

وقالت في حنان حزين :

— هل شعرت يوماً أنه ليس كذلك يا بنيتي ؟

دفعت (سهام) ذراع أمها عن كتفها في قسوة ،

وهي تهتف :

— ليس المهم ما أشعر به ، المهم هو من أنا ؟

سالت دموع الأم غزيرة ، وهو تقول .

— أنت ابنتي يا (سهام) .

هتفت (سهام) :

— و (مني) ؟

أجابتها الأم في صوت كالبكاء :

— كلتا كما ابنتي .

بدأ بينهما حديث عنيف ، حينما هتفت (سهام) :

— هذا كذب .

— هذا ما أشعر به أنا ووالدك .

***** ٤٨ *****

— وما أدراني أنكما حقاً والدي ؟

— ولماذا يشغلك هذا الأمر ؟

— لا بد أن أعرف .

— لماذا ؟ .. هل قصصنا يوماً في منحكما الحنان

والحب ؟

— ليس الأمر مشكلة حب وحنان .

— مشكلة ماذا إذن ؟

— مشكلة هوية .. أريد أن أعرف من أنا ؟

— الأسرة والمجتمع يعلمون أنك ابنة الدكتور

(صبري مختار) .

— إنهم مخدوعون .

— وربما كانوا على حق .

— لماذا تصرّان — أنت ووالدي — على إحاطتي

بالحيرة والشك ؟

— إننا نحاول الحفاظ على ترابط الأسرة يا بنيتي .

— أخبريني إذن من أنا ؟ .. أو من (مني) ؟

— كلتا كما ابنتانا .

***** ٤٩ *****

توقف الحديث عند هذا الحد ، ولوحت (سهام)
بكفها في غضب ، وهي تقول :
- لا فائدة إذن .

نهضت الأم في بطن ، واحتوت ابتها بين ذراعيها ،
وقالت وهي تبكي :

- لماذا تفعلين بنا ذلك يا بنيتي ؟.. هل تعاقبينا
على كل ما منحناك من رعاية وحب وحنان ؟.. هل
تقنسين كل هذا ، لجرد أنك تشككت في نسبك إلينا ؟
تدفق حنان الأم إلى عروق الابنة ، وامتزجت
دموعهما « حينما قالت (سهام) :
- أريد أن أعرف .

احتضنتها الأم في حنان ، وهي تقول :

- المعرفة لا تفيد دائماً يا بنيتي ، بل إنها كثيراً
ما تضر ، فدعينا نترك مركب الحياة يسير الهويني ، دون
أن نعوق تقدّمه . ولننس كل ما حدث اليوم « فلعل
هذا يعيد الأمور إلى نصابها .

***** ٥٠ *****

كان ما تطلبه الأم مستحيلاً ، يخالف الطبيعة البشرية
تماماً ، إلا أن (سهام) أومات برأسها موافقة ، ونغممت :
- نعم يا أماه .. أعدك بذلك .

ثم أخفت وجهها في صدر أمها ، وانفجرت
بالبكاء ، وفي أعماقها ظل السؤال الحائر يتردد قوياً
عنيفاً :

- من أنا ؟



***** ٥١ *****

عاد (أشرف) إلى منزله ، وهو يعاني مزيجاً من
المشاعر القوية العنيفة ..

كان يشعر بالندم على ما تفوه به ، وبالحزن من
آثر الحقيقة التي علمها مصادفة ، وبالقلق والحيرة
والتخبط ..

شارك أسرته مائدة العشاء صامتاً شاردأ ، وازدرد
بضع لقيبات صغيرة في صعوبة ، ثم أسرع إلى حجرتة ،
وأحكم إغلاقها خلفه ، وارتدى منامته على عجل ،
واستلقى فوق فراشه ، يفكر فيما حدث اليوم في حجرة
الدكتور (صبرى) ..

شعر فجأة بهول ما اقترفه ، فارتعدت فرائصه ،
وجفت حلقة في ألم ..

استبانت له الحقيقة مؤلمة مذهلة ..

لقد حطم بكلمات قلائل أمن أسرة كاملة ،
وتماسكها ، وحبها ..

تضاعف شعور الندم والحزن في أعماقه ، حتى
عضّ على شفتيه في قوة ، فأدماهما ..

ومسح الدماء عن شفتيه في شرود ، وهو يتذكر
ملاحم (سهام) حينما أخبرها بحقيقة الأمر دون أن يدري .
(سهام) الجميلة الرقيقة ، التي غزت قلبه منذ أول
لحظة وقعت عيناه عليها فيها ..

(سهام) الوديعه الجذابة ..

تذكر في هذه اللحظة كيف بدت صورة مجسمة
للفزع والألم والحزن ، وهي تواجه والدها ، بعد أن
نكشفت الحقيقة أمام عينيها ..

قاده التفكير إلى نقطة أخرى ، بحكم اهتمامه
العاطفي بـ (سهام) ..

بدأ يتساءل : أيهما ابنة الدكتور (صبرى) حقاً ؟ ..

(سهام) أم (منى) ؟

بدأ عقله الحائر يبحث عن الجواب ، بأسلوب

منظم عقلائى ، كعادته في حل كل الأمور المعقدة ،
التي تواجهه في حياته ، وبدأ يحثه بمراجعة ملاحم

الفتانين في ذاكرته ، ولكن هذا زاد من حيرته ، فقد بدت له كلتاها متقاربة ومختلفة في آن واحد عن ملامح الأبوين ، وهذا أخذ يبحث عن تفسير آخر يروق له .
لم يكن عادلاً في بحثه في الواقع ، فقد كان يميل إلى جعل (سهام) هي الابنة الحقة لأستاذه ..

ومن هذا المنطلق توصل عقله إلى تفسيرات كثيرة ، ولكنه كان يرفضها واحداً بعد الآخر ، حتى أعياه البحث ، فنهض من فراشه ، وأخذ يسير في أرجاء حجرته متوتراً حائقاً ، حتى توقف بغتة ، ولوح بكفه في الهواء ، وقال وهو يحدث نفسه في قسوة :

— ولماذا تهتم كل هذا الاهتمام بنسبها ؟ .. أنت تحبها ، وهذا يكفي .

فجسرت العبارة في أعماقه سؤالاً جديداً ، ودار بينه وبين نفسه حوار ساخط أملاه قلقه ، وصاغته حيرته :

— هل تحبها حقاً ؟

— لا شك لدى في ذلك .

— وما دليلك على وجود هذا الحب ؟

— قلبي الذي يختلج بين ضلوعي حينما أراها .

— ولكنك لم ترها إلا مرتين فحسب .

— لقد أحييتها منذ المرة الأولى .

— وهل يبدو لك هذا منطقياً ؟

— الحب لا يعترف بالزمن .

— هل تصدق هذا ؟

— ماذا تريد أن تقول ؟

— لقد جذبتك جمالها فحسب ، وحررت رقتها

مشاعرك ، ولكنك لا تحبها .

— لقد رأيت عشرات الجميلات ، ومئات

الرقبات ، ولن يخذعني قلبي بشأنها .

— ارجع إلى منطقك .. الحب لا يأتي هكذا بغتة .

— منطقي نفسه يقول : إن الحب لا يخضع للقواعد .

— لماذا يشغلك أمر نسبها إذن ؟

توقف الحديث بينه وبين نفسه عند هذه النقطة ،

وتحوّل إلى صوت مسموع ، نخرج من بين شفتيه
ساخناً ، وهو يغمغم :

— نعم .. لماذا يشغلني نسبها ؟

وعاد يستلقي فوق فراشه صامتاً ، يحدث في سقف
حجرته في شروود ، وقد أراح رأسه فوق كفتيه
المضمومتين ، وظل مفتوح العينين حتى أشرق الصباح .

لم يكن وحده الذي قضى ليلته مسهّداً ..

أسرة الدكتور (صبرى) كلها شاركته أرقه
وحيرته ..

(منى) لم يغمض لها جفن طيلة الليل ، وهي تقلّب
الأمر على كل الوجوه ، محاولة التوصل إلى سرّ ذلك
الحزن ، الذي شمل أسرتها طيلة اليوم ، وخاصة حول
مائدة العشاء ، حيث لاذ الجميع بالصمت ، ولم تنطلق
كلمة مريحة واحدة طوال الوقت ، بعكس المألوف
في الأسرة ..

كانت تشعر بالقلق والحيرة ، والغضب ..

كان مبعث غضبها أنها كانت الفرد الوحيد في

الأسرة ، الذي لا يدري شيئاً عما يحدث ، ولكنها
كانت واثقة من أن الأمر يتعلق بـ (سهام) ..

(سهام) أيضاً قضت ليلتها أرقّة مسهّدة ..

نشب في أعماقها صراع قوى عنيف ، وهي تحاول
أن توازن ما بين ارتباطها القوى بأسرتها ، وخوفها من
الأ تكون واحدة من تلك الأسرة أصلاً ..

تذكرت حنان والدها ووالدتها الغامر ، منذ وعت
عينها الدنيا ، وأشرق عقلها للحياة ، وبدأ عقلها وتفكيرها
بأخذان منعطفاً جديداً ..

بدأ إحساسها بالقهر والحزن والألم يتضاءل ، وحل
محلّه إحساس قوى بالحب والعرفان بالجميل ..

شعرت بمزيد من الحنان والحب نحو أبويها ، اللذين
حرّصا طيلة هذه السنوات على منحها وشقيقتها كل
ما لديهما من عطف وحنان ورعاية ..

ومع مرور الوقت ، لم يعد يعنينا كثيراً ما إذا
كانت ابنتهما أم لا ..

لم يبد لها أن ذلك سيغير الأمور كثيراً ..

ولكن فضولها كان يشتعل في قوة وحرارة ..
كانت تريد أن تصل إلى الحقيقة
أن تعرف

وكان هذا مصدر حيرتها
وشاركها حيرتها هذه والدها ووالدتها أيضاً ..
لم يستطع أيهما الاستسلام للنوم ، وإن ظل كلاهما
صامتاً ، غارقاً في لجة أفكاره
ودون أن يتبادلا كلمة واحدة استقر رأيهما على
ضرورة الاحتفاظ بالسِر
على الأقل بالنسبة للفتاتين

ومنعهما ذلك القرار من النوم حتى الصباح
وفي الصباح لم يجتمع أى من أفراد الأسرة حول
مائدة الإفطار ، مما أثار في نفس الخادمة (شوقية)
حيرة جديدة ، تضاعفت في شدة ، عندما تركتها الأم
تعد الطعام ، دون أن تتدخل لأول مرة في طهيهِ
وفي تمام الساعة العاشرة صباحاً ، تبدلت الأمور
على نحو عجيب ..

مع دقائق العاشرة ، ارتفع رنين جرس الباب ،
فأسرعت (شوقية) تفتحه ، ووقفت لحظة تتطلع إلى
الزائر في دهشة ..

شعرت في البداية برجفة تسرى في جسدها ، وهي
تحدّق في عينيهِ الخضراوين ، اللتين نفلتا إلى أعماقها
في قوة ..
أو هكذا خيّل لها ..

مضت لحظة من الصمت ، وهي تحدّق في عيني
الزائر ، قبل أن يقول في هدوء :
- صباح الخير .. هل يمكنني مقابلة الآنسة
(سهام) ؟

كان صوته رقيقاً ، هادئاً ، مما أجبر (شوقية)
على منحه ابتسامة ودّ ، وهي تسأله في احترام :
- هلاً تفضّلت بذكر اسمك ؟
أجابها في هدوء ، وهو يمنحها ابتسامة مماثلة :

- (أشرف) .. الدكتور (أشرف عبد الهادي) .
قادته (شوقية) إلى حجرة الجلوس ، وأسرعت

توقظ (سهام) ، أو بمعنى أدق تخرجها من فراشها ،
الذى ظلت ترقد فيه حتى الآن ...

ولم تكن دهشة (سهام) بأقل من حيرتها ، وهي
نهبط لاستقبال (أشرف) ، الذى استقبلها بابتسامته
المهذبة ، وتبادل معها بعض عبارات المجاملة ، قبل أن
يتنحى ، ويقول فى بطاء :

— لقد أتيت من أجلك يا (سهام) .. من أجل
أمر يخصنا معاً .

اختلاج قلبها بين ضلوعها ، وهي تغتمغ :

— أى أمر هذا ؟

بدا التردد والارتباك فى ملامحه لحظة ، ثم استعاد
رزائته وهذوئه بسرعة ، وهو يقول :

— هل تقبلينى زوجاً ؟

ارتجف جسد (سهام) كله مع سؤاله

ارتجفت من قمة رأسها حتى أخمص قدميها .. من
أطراف جلدها حتى أعماق أحشائها ..

وتخضب وجهها بحمرة الخجل ، وخرجت

***** ٦٠ *****

الكلمات من بين شفيتها مرتجفة ، خافتة ، وهي تقول .
— كان من المفروض أن توجه سؤالك هذا إلى

الدكتور (صبرى) .

أجابها فى اهتمام :

— أردت معرفة رأيك أولاً .

كادت تهتف بالموافقة فى سعادة ، لولا خجلها ..

ولولا قلق قوى بعثه سؤاله من أعماقها ..

كانت تتصور بعد سُهاد أمس أنها قادرة على
تجاهل أمر نسبها تماماً ، ولكن رغبة (أشرف) فى
الزواج منها عاد يفجئ المشكلة كلها مرة ثانية فى
أعماقها ..

وجدت نفسها تسأله بغتة ، وهي تطرق برأسها
فى خجل :

— وهل أنت واثق أتى ابنة الدكتور (صبرى
مختار) ؟

أجابها فى حزم :

— هذا لا يعنينى .

***** ٦١ *****

هتفت في حدة :

— ولكنه يعني أنا .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال (أشرف) :

— لقد اخترتك أنت يا (سهام) ، وكل ما أرجوه

موافقتك على الزواج مني ، ولست أحفل كثيراً باتيائك

إلى الدكتور (صبرى) من عدمه .

كان حديثه يسعداها ويذكي نيران حبها له ، ولكنها

كانت تخشى أن يُقيم ذلك السر الذي تجهله حاجزاً

بينهما ، يمنعها من منحه السعادة أو الاستقرار

ظلت صامته لحظات ، ثم غمغت :

— إننى لا أرفضك يا (أشرف) ، ولكنى أريد

أن أعرف أولاً من أنا ؟

سألتها في لهجة بدت لها أقرب إلى التوسل :

— لماذا ؟

ترقرقت الدموع في عينيها ، وهى تقول في همس

حزين :

— أليس هذا من حقى ؟

***** ٦٢ *****

لم يجد لديه ما يمكنه من إجابة سؤالها ، وبدت له

دموعها كحجم تحرق قلبه ، واحتاجر تمزق نياطه ، فدف

يده في هלוء ، وأحاط كفها الرقيقة براحته ، وهو

يقول فى حنان :

— هل يمكننى معاونتك على تجاوز هذه الأزمة ؟

ارتجفت للمسته ، ورفعت عينيها إليه فى ضراعة ،

وهى تقول فى لطفة :

— نعم .. أرجوك .

بدا متردداً لحظة ، ثم أعاد يده إلى جواره ، ونهص

وهو يقول :

— حسناً يا (سهام) .. سأفعل كل ما بوسعى

لمعاونتك ، وسأؤجل مطلبى هذا لما بعد ذلك .

غمغت فى أسف :

— (أشرف) .. إننى ..

قاطعها فى حزم :

— لا عليك يا (سهام) .. حتى لو وافقت على

***** ٦٢ *****

رفع الدكتور (صبرى) عينيه ، يتطلع فى دهشة
إلى (أشرف) ، قبل أن يقول :

- تطلب يد ابنتى (سهام) ؟ !

أجابه (أشرف) فى احترام :

- بشرقنى ذلك يا سيدي .

داعب الدكتور (صبرى) جبهته فى توتر ، ثم قال :

- هل تظن أن الوقت مناسب لذلك يا (أشرف) ؟

أجابه (أشرف) فى هدوء :

- نعم يا سيدي .

استند الدكتور (صبرى) إلى ظهر مقعده ، وثأمل

وجه (أشرف) طويلا ، قبل أن يقول :

- المطلبك هذا علاقة بما سمعته أمس ؟

تردد (أشرف) لحظة ، ثم قال :

- إلى حد ما يا سيدي .

مطأ الدكتور (صبرى) شففيه ، ونغم فى أمى :

الزواج منى الآن ، قلن يبعث هذا فى قلبى الاطمئنان .
سأنتظر حتى تنتهى حيرتك .

تابعته بعينها وهو ينصرف ، وقاومت طويلا حتى
لا تعدو خلفه ، وتتعلق به ..

كان بأسلوبه المتحضر هذا قد محا من قلبها كل
ذرة شك فى حبه لها ..

فى هذه اللحظة بالذات كان قلبها يعترف بحبه ،
ويهتف مع كل نبضة من نبضاته باسمه .

لقد انتهت حيرتها فى هذا الشأن ..



— هذا ما كنت أخشاه .

ثم رفع عينيه إلى (أشرف) ، واستطرد في لهجة مشفقة حنون :

— الشفقة وحدها لا تكفي لصنع زواج ناجح يا بني .

بدا وكأن (أشرف) قد بوغت بالعبارة ، وهو يهتف في دهشة :

— الشفقة ؟ .. لم يخطر هذا بيالي مطلقاً يا سيدي .. إني أحب (سهام) حقاً .

انتقلت الدهشة إلى الدكتور (صبري) ، وهو يقول :

— تحبها ؟ .. إنك لم تلتق بها إلا أمس الأول يا بني ، والحب لا ينشأ بمثل هذه السرعة .

ابتسم (أشرف) في خجل ، وهو يقول :

— فلنقل إني قضيت عمري كله أبحث عن فتاة مثله .

عقد الدكتور (صبري) حاجبيه ، وبدا وكأنه لا يستطيع استساغة هذا المنطق ، ولكنه لم يلبث أن هز كفيه ، وكأنه يترك المنطق لصاحبه ، وقال :

***** ٦٦ *****

— لابد على الأقل أن أعرف رأيها و

قاطعه (أشرف) في عجلة :

— إنها موافقة يا سيدي .

تطلع إليه الدكتور (صبري) في دهشة ، ثم ابتسم في حنان ، وهو يقول :

— إذن فأنتم متفقان ، وأنا آخر من يعلم .

نغم (أشرف) في خجل :

— لقد أردت معرفة رأيها ، قبل مفاتحتك بالامر يا سيدي .

اتسعت ابتسامة الدكتور (صبري) ، وهو يقول :

— ووافقت ؟

تردد (أشرف) لحظة ، ثم أجاب :

— موافقة مشروطة يا سيدي .

عاد الدكتور (صبري) يعقد حاجبيه ، وهو يقول

في قلق :

— ماذا تعني ؟

قص عليه (أشرف) الحوار ، الذي دار بينه وبين

***** ٦٧ *****

(سهام) منذ لحظات ، وأصغى إليه الدكتور (صبرى)
في اهتمام مشوب بالقلق ، حتى انتهى (أشرف) :
فهمتف الدكتور (صبرى) في توتر :

— حذار أن تفعل يا بنى .

جاء دور (أشرف) ليعقد حاجيه ، وهو يقول :

— أفعل ماذا يا سيدي ؟

هتف الدكتور (صبرى) ، وهو ينشبت بحافة
مكتبه في عصبية :

— حذار أن تعاونها على كشف حقيقة الأمر .

سأله (أشرف) فجأة في حدة :

— لماذا يقلقك الأمر إلى هذا الحد يا سيدي ؟

صاح الدكتور (صبرى) ، وقد انتقلت الحيدة إلى
صوته أيضاً :

— لأنه قد يعنى انهيار أسرة كاملة .

— ولكن (سهام) عرفت حقيقة الأمر بالفعل ،

ولن يرتاح قلبها أبداً إلا إذا عرفت حقيقة كاملة .

***** ٦١ *****

— لقد أقسمنا — زوجتى وأنا — على حفظ السر
مدى الحياة .

— ولكن القدر أراد له أن يُفشى ، فلم تعاندان
القدر ؟

— صدقتى يا بنى .. هذا أفضل .

— هل يعنى ذلك أن (سهام) ليست ابنتك ؟

صمت الدكتور (صبرى) عند هذه النقطة ، والتمع
السمع في عينيه ، وهو يقول :

— هل يعوق هذا طلبك الزواج منها ؟

هتف (أشرف) في صدق :

— لا ، يا سيدي .

ابتسم الدكتور (صبرى) ، وقال وهو يتنهَّد في
ارتياح :

— إذن دعنا نترك الأمور تسير في مجراها الطبيعي .

عقد (أشرف) حاجبيه ، وغمغم :

— ولكن ..

قاطعه الدكتور (صبرى) في مزيج من اللفه والقلق :

***** ٦١ *****

— ولكن ماذا ؟

زرد (أشرف) مرة أخرى ، وهو يقول في صوت خافت :

— ولكنني وعدت (سهام) .

ساد الصمت بينهما لحظات ، ثم نهض الدكتور (صبري) من خلف مكتبه ، وانتقل إلى حيث يقف (أشرف) ، وربّت على كتفه في حنان ، وهمس :

— لقد وعدتها أن تعاونها يا (أشرف) ، تعاونها على تجاوز أزمته ، ولن يتأتى هذا بإصرارك على البحث عن الحقيقة .

انبعث قلق مفاجيء في أعماق (أشرف)

اشتعل فضوله فجأة في عنف ، أمام إصرار الدكتور (صبري) على إخفاء الأمر

أصبح هو الآخر شغوفاً بأن يعرف

صحيح أن رغبته في الزواج من (سهام) لم تكن تخضع لنتيجة معرفته بالسر ، ولكن رغبته في معرفة الحقيقة باتت قوية آصرة ..

وجد نفسه — بلا وعي — يسأل الدكتور (صبري) في برود :

— هل تظن ذلك يا سيدي ؟

أجابه الدكتور (صبري) في حزن وهو يربّت على كتفه مرة أخرى :

— نعم يا ولدي .

ولكن (أشرف) لم يعد باستطاعته إخماد فضوله ، فعاد يسأل الدكتور (صبري) في إصرار :

— يمكنك أن تذكر لي أنا الحقيقة على الأقل يا سيدي .

ابتسم الدكتور (صبري) ابتسامة ، حملت كل ما في قلبه من حزن ، وهو يقول في خفوت :

— ليس الآن يا ولدي .. ربما يوماً ما .. بعد أن تستقر الأمور .

أوماً (أشرف) برأسه في موافقة صامتة ، ولكن أعماقه كانت تنادى بالعكس ..

كانت تنادى بضرورة البحث البحث عن الحقيقة ...



شعرت (سهام) بالدهشة ، حينما رأت والدها يدخل حجرتها في هدوء ، على الرغم من أنها ليست المرة الأولى ، التي يشاركها والدها الحديث في حجرتها ، ولكن مبعث دهشتها كان ابتسامته التي تجمع بين الحنان والحزن ، والتي مست شغاف قلبها ، وجعلتها تسرع إليه هاتفة :

- مرحباً يا والدي .. كم تسعدني رؤيتك ؟

ربت والدها على كفها في حنان ، وقال في حب :

- إنك ترفضين مغادرة حجرتك منذ الصباح ، فقررت أنا زيارتك فيها .

أطرقت برأسها في خجل ، وهي تغتمغ :

- كنت أحتاج إلى الجلوس وحدي لأفكر في

عاد يرتب على كفها ، وكأنها يدعوها لبر حديثها ، ثم جلس على طرف فراشها ، وابتسم وهو يقول :

- لقد تحدث إلى الدكتور (أشرف) اليوم بشأنك .

ساورها القلق وهي تسأله :

- بشأني أنا .

أوما برأسه إيجاباً ، وقال في حنان :

- إنه يطلب الزواج منك .

اتسعت عيناها في دهشة ، وتدفقت في عروقها دماء الغضب ..

لماذا طلب (أشرف) يدها من والدها ، على الرغم من اتفاقهما على تأجيل ذلك هذا الصباح ؟ ..

ما الذي دفعه لتغيير الاتفاق على هذا النحو المباغت ؟ ..

ظلت تحدق في وجه والدها بدهشة ، وعينين واسعتين متسعيتين ، حتى أنه سأها في قلق :

- ماذا بك يا (سهام) ؟ .. أترفضين عرضه ؟

هزت رأسها نقياً في بطاء ، ونغمغت :

- لا ، يا أبتاه ، ولكنه كان مفاجئاً .

عقد حاجبيه ، وهو يغتمغ في حيرة :

— ولكن

بتر عبارته قبل أن يقول إن (أشرف) أخبره
بموافقتها ، وقال :

— ربما كان عليه أن يمهد للأمر مسبقاً ، ولكنه لم
يفعل ، فما رأيك في عرضه ؟

ترددت (سهام) لحظة ، وهي تحاول البحث عن
تفسير لهذا التغير المفاجيء ..

كانت ثقها بـ (أشرف) تؤكد لها أن لديه مبرراً
قوياً ، دفعه إلى تغيير اتفاقهما ..

وكان حبها له يدفعها لتصديق وجود هذا المبرر ..
طال صمتها ، وهي تطرق برأسها أرضاً ، حتى

كرّر والدها سؤاله في قلق :

— ما رأيك يا (سهام) ؟
تصاعدت دماء الخجل إلى وجنتها ، ونغممت في
خفوت :

— ما رأيك أنت يا أبي ؟
تنهد الوالد في ارتياح ، وقال :

***** ٧٤ *****

— (أشرف) شاب ممتاز ، من أسرة طيبة ، وهو
ناجح وطموح ، وسيكون — بإذن الله — زوجاً رائعاً .
شعرت بفرح يغمر قلبها ، على الرغم من حيرتها ،
ونغممت :

— حسناً يا والدي ، ما دمت ترى ذلك .
تهلت أساريره ، ونهض بضمها إلى صدره في

رفق وحنان ، وهو يقول :

— ما أسعد قلبي يا بني !! كم كنت أحلم باليوم
الذي أرى فيه ابنتي في ثوب عرسها !!
ابنته !! ..

أعادت إليها الكلمة كل قلقها ، وحيرتها ، ورغبتها
في معرفة الحقيقة ..

أزالت من قلبها كل فرحتها بالزواج من (أشرف) ..
عاد السؤال البغيض يلح عليها ويدور في رأسها

قوياً عنيفاً ..
هل هي حقاً ابنته ؟ ..

هل تحمل اسمه عن حق ؟ ..

***** ٧٥ *****

سيطر هذا التساؤل على كيائها ، فقالت في صرامة :

— ولكنني أريد مقابلة (أشرف) أولا .

شعر الدكتور (صبرى) بالقلق والحيرة لمطلبها :

ولكنه أجاب في هدوء :

— لا بأس يا بنيتي .. إنه مطلب منطقي .

— لماذا فاتحت والدي في أمر زواجنا ؟

كان هذا هو السؤال الذى وجهته (سهام) لـ (أشرف)

في غضب ، فور رؤيتها له في مستشفى والدها الخاص ،

في الصباح التالى ..

كانت لمجتها تشف عن غضبها وحنقها ، إلا أنه

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— ألا تقولين صباح الخير أولا ؟

هتفت في مزيد من الحنق :

— ليس قبل أن أقنع بمرورك أولا .

عقد ساعديه أمام صدره ، واتسعت ابتسامته وهو

يقول :

— ألا تظنين أن هذا هو الأسلوب المباشر

الصحيح ، لطلب الزواج من آنسة مهذبة مثلك ؟

صاحت في غضب :

— ولكننا اتفقنا على

قاطعها في هدوء :

— معذرة يا (سهام) .. لقد اتفقنا على تأجيل

زواجنا ، لا خطبتنا .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول في حنق :

— لا فارق .

ابتسم وهو يقول :

— بل هناك فارق كبير يا حبيبتي .

أرجفتها كلمته الأخيرة ، وأيقظت في قلبها كل

الحنان والحب ، وفجّرت في أعماقها ينابيع العشق ،

فلان صوتها ، ورقّت ملامحها ، وهى تهمس :

— أى فارق هذا ؟

مدّ كفيه في هدوء ، وأراحهما على كتفها في رقة ،

وهو يهمس في صوت مشوب بالعاطفة :

— الفارق هو أنتى سأكون خطيبك يا (سهام) .

دفعاً للذي ذلك الذي مرى من موضع كفيه إلى
جسدها كله

تخلر رائع أراح قلبها « وبعث النشوة في جسدها ،
فوجدت نفسها تصفى إليه بكل كيائها « وهو يستطرد
في هدوء :

— أنت تريدن معاوتى للتوصل إلى الحقيقة ،
أليس كذلك ؟

أومات برأسها إيجاباً في صمت ، فتابع في هدوء :
— سيستبج هذا أن نلتقى كثيراً ، ونناقش معاً
بعض النقاط ، وسيصبح هذا أكثر سهولة لو أننا
خطيبان ، أما لو لم نكن كذلك فستثير لقاءاتنا الأقاويل .
وتدقق الحنان من عينيه ، وهو يردف في همس :
— وأنا رجل شرقي ، لا أحب أن تتناثر الأقاويل
حول زوجتي المقبلة .

أنستها رفته كل شيء ، ومحا حنانه كل غضب ،
فتخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وأطرفت برأسها ،
وهي تغتم في حياء :

— حسناً .. ما دمت ترى ذلك .

راودته رغبة قوية في أن يضمها إلى صدره ،
ولكن أخلاقياته قاومتها في شدة ، وهو يقول :

— هل توافقين إذن على اتفاقنا الجديد ؟

همست وهي تلدوب حياء :

— نعم .

أحاط كفها الرقيقة براحته ، وهمس في حنان :

— دعينا نخبر والدك بموافقتك إذن .

سارا جنباً إلى جنب ، وكفها مستكينة في راحته ،

حتى وصلا إلى مكتب والدها ، فطرقه (أشرف) في

هدوء ، وسمع صوت الدكتور (صبرى) يقول في

رصانة :

— ادخلا .

دفع (أشرف) الباب ، وابنسم وهو يقول :

— هل كنت تعلم أننا سنأتى معاً يا سيدى ؟

تطلع الدكتور (صبرى) إلى كفيهما المتعانقتين ،

ونقل بصره إلى وجه (سهام) ، الذى يفيض بحمرة
الخجل ، ثم ابتسم فى حنان ، وأجاب :
— كنت أعلم أنكما ستفقان .

ازداد احمرار وجه (سهام) خجلاً ، فاستع
ابتسامة والدها ، وهو يستطرد فى سعادة :
— سأعلن الخبر على الملأ .



***** ٨ *****

٩ — الخطبة ..

حفل رائع ذلك الذى أقامه الدكتور (صبرى) فى
حديقة فيلته ، احتفالاً بخطبة (سهام) إلى (أشرف) ..
ازدانت الفيلا كلها بالأضواء الملونة ، وازدحت
بنخبة من الأصدقاء والأقارب ورجال المجتمع فى
القاهرة ..

تدفقت السعادة أنهاراً ، وعاد إلى الأسرة مرحها
وتماسكها وحبها ..

كانت (منى) تبدو أكثر الجميع سعادة ، وهى
تضحك وتمسرح ، إلى جوار الخطيبين ، وتقول
لـ (أشرف) مداعبة :

— ماذا أصاب تقاليد هذا المجتمع ؟ .. كيف
تزوج الابنة الصغرى قبل الكبرى ؟
ضحك (أشرف) وهو يقول :

— يا إلهى !! لو علمت ذلك لبحثت عن زميل
لك ، قبل أن أتقدم لخطبة (سهام) .

***** ٨١ *****

هزت كتفها ، وهي تقول في مرح :

— ومن قال إنني كنت سأقبل ؟

ثم أردفت في خبث مرح :

— اللهم إلا إذا كان يملك وسامة (حسين

فهى) ، أو رجولة (عمر الشريف) .

ضحك الجميع في مرح ، وتقدمت الأم منهم ،

وهي تضحك قائلة :

— ألن تكفى عن عيبك هذا أبداً يا (منى) ؟

ثم انحنت تقبل (سهام) ، وهي تقول في حنان :

— فليجعلها الله — سبحانه وتعالى — خطبة مبروكة

ومقدمة لزواج موفق يا بني .

والتفت إلى (أشرف) ، وهي تضحك ، قائلة :

— هلا انحنيت قليلا ، حتى يمكننى تقبيل وجنتك

يا بنى ؟

انحنى نحوها (أشرف) ، وهو يقول :

— سمعاً وطاعة يا أماء .

قبلت الأم وجنته في حنان ، وضحكت وهي تقول :

— كم أتمنى أن يكون زواجكما ناجحاً موفقاً ،

مثل زواجى بالدكتور (صبرى) ، فيما عدا ...

بنت عبارتها بغثة ، وبدا وكأن مرحها قد

تلاشى جزءاً من الثانية ، قبل أن تعود للابتسام ، وهي

تستطرد :

— فيما عدا مشاكل الحياة بالطبع .

ثم أطلقت ضحكة ، بدت في آذان الجميع شديدة

الافتعال ، قبل أن تردف :

— هل تعلمان أننى والدكتور (صبرى) تشابه في

كل شيء ؟ .. فى الصفات والأخلاقيات والمبادئ .

وحتى فى فصائل الدم ، فكلانا يحمل فصيلة (أ)

موجبة .. تصورا ؟

ثم عادت تضحك ، وتتابع فى مرح حقيقى :

— إننا حتى نلدوق نفس النوع من الفنون

والموسيقى ، ونحب نفس الكتب والأفلام السينمائية و ...

قاطعها صوت الدكتور (صبرى) ، وهو يقول

فى رصانة :

— كما أننا نحب الشخص نفسه .

ثم أردف مداعباً :

— فأنا أحب زوجتي « وهي أيضاً تحب نفسها .

هتفت الأم في استنكار :

— (صبرى) .. كيف تقول ذلك ؟

ثم شاركت الجميع ضحكاتهم ، وهي تستطرد :

— نسيت أن أقول إننا نتشارك في حب المرح

أيضاً .

وضع الدكتور (صبرى) يده على كتفها ، وأحاط

كتف (منى) بلراعه الأخرى ، وهو يقول في حنان :

— كما أننا لا نحب أن ننقل على خطيبين في ليلة

خطبتهما .

وقاد ابنته وزوجته بعيداً ، تاركين (سهام)

و (أشرف) وحدهما ، فقللت راحة (أشرف) إلى

كف (سهام) ، واحتضنتها وهو يقول في همس عاطفي :

— هل تظنين أن زواجنا سيكون موفقاً

كزواجهما ؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغمغم :

— لست أدري .. هذا في علم الغيب .

ابتسم في حب وهو يقول :

— دعينا نبحث الأمر إذن .. أنا أحب الموسيقى

الكلاسيكية ، والأفلام الكوميديّة ، والرسم التشكيلي .

ضحكت في خجل ، وهي تقول :

— أعتقد أننا نتشابه في هذه الأمور .

اتسعت ابتسامته ، وهمس وهو يضغط كفها في

رفق :

— هذا رائع .. ولو أنك تحبين الروايات العلمية ،

وتحملين فصيلة الدم (و) فسنكون متشابهين في كل

شيء مثلهما .

ضحكت مرة أخرى ، وهي تهمس :

— يبدو أننا نختلف في هذه النقطة ، فأنا أميل إلى

قراءة الروايات العاطفية ، وأحمل فصيلة الدم (ا ب) .

ضحك وهو يقول :

— حسناً .. إننا لن نشد الكمال و

استيقظت (سهام) في الصباح ، وهي تشعر بسعادة
غامرة تتدفق في عروقها ..

استيقظت باسممة الشجر ، منشرحة الصدر ، وقد
بدت لها الدنيا بصورة جديدة ..

صورة وردية حاملة ، تملأ أعماقها ، وتبعث النشوة
في نفسها ..

قفزت من فراشها بنشاط ، ووقفت تتأمل صورتها
في مرآتها في سعادة ، وقد انتهت لأول مرة إلى جمالها
الرقيق ، رفعت يدها تتحسس بشرتها الناعمة في ببطء ،
حتى توقفت يدها أمام عينيها « فافتّر ثغرها عن ابتسامة
تفيض حباً وحناناً ، وهي تتأمل الدبلة الذهبية ، التي
تزين إصبع يدها اليمنى ..

تلك الدبلة الذهبية ، التي تحمل اسم (أشرف) ،
والتي وضعها بيديه في إصبعها أمس ..

أصبلت عينيها في سعادة ، وهي تسترجع أحداث

بتر عبارته بغثة ، واتسعت عيناه في دهشة لحظة ،
ثم عاد يسيطر على ملامحه في سرعة ، وإن تلاشى المرح
من صوته تماماً ، وهو يقول :

— هل تعلمين أن والدك إنسان رائع يا (سهام) ؟
ابتسمت وهي تقول :

— ووالدتي كذلك .

ظهر الإشفاق في عينيه ، وقال في حنان :

— نعم .. كلاهما يستحق التقدير والإعجاب .

وتأمل الحفل الضخم الفاخر ، قبل أن يستطرد في
عموض حزين :

— ومن النادر أن يجد المرء قلبين مثلهما .

وفي ضمت ، ودون أن تلاحظ (سهام) ، تساقطت
من عينيه قطرة دمع حزينة ..

■ * ■



حفل خطبتها ، وأناقته (أشرف) ووسامته ، وطار
عقلها إلى الحفل ، حتى خيل إليها أنها ما تزال تستمع
إلى الموسيقى ، التي كانت تتردد في جوانبه ، وترى
الضيوف في ثيابهم الأنيقة ..

لقد كان الحفل يعيش في خيالها ، ويتدرد مع
أنفاسها ، ويسرى تحت جلدتها ..

يكفيها أنه كان حفل خطبتها للرجل الذي أحبه ..
عادت تتأمل الدبلة الذهبية في حب وهيام ، حتى
سمعت طرقات هادئة على باب حجرتها ، فهمست :
- ادخل يا من بالباب .

استمرت الطرقات ، حتى انتزعها من هيامها ،
فهتفت :

- ادخل .

وعادت الابتسامة تملأ وجهها حينما رأت شقيقتها
(منى) تدخل إلى حجرتها باسمها ، وهي تقول في خبث
مرح كعادتها :

- كيف حال العروس ؟

أطلقت (سهام) ضحكة تشف عن كل ما يعتمل
في أعماقها من سعادة ، وقالت :

- كيف حالك أنت يا (منى) ؟

هزت (منى) كتفها ، وقالت :

- لم يتغير في نفسي شيء منذ أمس .

ثم أردفت في لهجة مازحة :

- على عكسك بالطبع .

سألها (سهام) في خجل :

- لا أعتقد أنني تغيرت منذ أمس .. أليس

كذلك ؟

تحتست (منى) بشرة (سهام) في حب ، وقالت

وهي تبسم :

- ربما ليس منذ أمس ، ولكن هذا الوجه

البشوش الصبوح لم يكن كذلك . منذ أيام قليلة .

أعادت إليها كلمات (منى) ذكرى السر الذي

تنوء بحمله ، فعقدت حاجبيها ، وهي تغغم في ضيق :

- فلندع أمس للأمس يا (منى) .

ثم عادت تغتصب ضحكة مرحة ، وهي تردف :

— ألم تقرري اللحاق بي في ركب الزواج ؟

ضحكت (منى) في مرح ، وقالت :

— سأنتظر حتى تتضح لي نتيجة تجربتك أولاً

يا شقيقتي العزيزة .

فتحت (سهام) صَوَانِ ملابسها ، وهي تقول :

— سهر عين عندئذ للزواج .

ضحكت (منى) ، ثم سألت شقيقتها في اهتمام :

— هل تزمعين الخروج ؟

أجابتها (سهام) في خجل :

— نعم .. سأذهب لزيارة (أشرف) في المستشفى .

تألفت عينا (منى) بريق مرح ، وهتفت :

— دعيني أعاونك على اختيار ثوبك ، ووضع

زينتك إذن . فهذا أول لقاء لكما بعد حفل الخطبة ،

وأريدك أن نبهره .

ولقد بهرته (سهام) بالفعل ..

كانت مثالا مجسماً للجمال والرقّة ، وهي تلتقي به

هذا الصباح ..

كانت ترتدي ثوباً وردبياً رقيقاً ، تزين صدره

نقوش ذهبية أنيقة ، ويلتف حول وسطه حزام رفيع

من نفس النوع واللون ، وقد صفّفت شعرها الأسود

الناعم بحيث أرجعت الجانب الأيمن منه إلى الخلف ،

ليبرز أذنها ، وذلك القرط الوردى البسيط الجميل ،

الذي يتدلّى منها في هدوء ، في حين ألقت خصلة من

شعرها على جبينها إلى يسار وجهها ، لينسدل شعرها

كشلال أسود ناعم على كتفها الأيسر ، وتحلّ جيدها

بسلسلة ذهبية صغيرة ، تنتهي بحلية من الذهب ، تحمل

الحرف الأول من حروف اسمها ، في حين اكتفت في

زينتها بطلاء شفاء هادئ ، له نفس لون ثوبها الوردى ،

وطلاء أظفار من اللون نفسه ..

كانت باهرة الحسن والرقّة ، حتى أن (أشرف)

أطلق من بين شفثيه صغيراً ينم عن انبهاره وإعجابه ،

قبل أن يهتف في حرارة صادقة :

— يا إلهي ١١ .. أنت تبسدين كحوريات الجنة
هذا الصباح يا (سهام) .

ضحكت في مزيج من المرح والسعادة والحجل ،
وهي تقول :

— وأنت تبالغ كثيراً هذا الصباح .

هتف وهو يتناول كفها الرقيقة ، ويحتضنها براحتيه
في حب :

— بل إنني لا أجدر التعبير الكافي لوصف جمالك
يا حبيبتى .

كانت كلمات الإعجاب تتسلل من بين شفثيه إلى
قلبها مباشرة ، فيخفق بالسعادة والحب ، فتركت كفها
تستريح وتنعم بين راحتيه ، وهي تغغم في حياء :

— قالت (منى) إنه ينبغي أن أبهرك .

ضحك وهو يقول في هيام :

— ولقد نجحت .

خفضت عينيها لتخفي فرحها وحياءها ، وبحث
عن كلمات تتحدث بها إليه ، فلم يهدأ عقلها إلا لسؤال

واحد ، أسرعت تلتقي به على شفثيها ، وهي تقول :

— هل توصلت إلى وسيلة مناسبة ؟

سألها ، وهو يتأمل ملامحها في شغف :

— وسيلة مناسبة لماذا ؟

أجابته في اهتمام :

— لمعرفة حقيقة نسبي .

انتهضت راحته حول كفها ، وتراجع رأسه على
نحو مباغت ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— لست أرى ضرورة لذلك .

حدقت في وجهه لحظة في دهشة ، ثم اكتسب
صوتها بعض الحدة ، وهي تقول :

— ماذا يعني ذلك ؟ .. لقد وعدتني أن ...

قاطعها وهو يقول في خشونة زادت من دهشتها :

— أعتقد أننا سنضيع وقتنا فيما لا طائل منه ، لو

أنا فعلنا ..

شعرت بالغضب ، فجذبت كفها من بين راحتيه
في قوة ، وهتفت :

— إذن فقد خدعتني .

جاء دوره ليشعر بالدهشة ، وهو يهتف :

— خدعتك ١٩

صاحت في غضب :

— نعم خدعتني ... خدعتني حتى تحصل على موافقتي

على الزواج منك فحسب ، ولكنك لم تحرص حتى على

استمرار خدعتك ، لقد تخليت عن وعدك صبيحة

خطبتنا .

مدّ يده ليربّت على كتفها ، وهو يقول في ألم :

— (سهام) .. إني .

أبعدت يده في غضب ، وتراجعت وهي تصرخ :

— ابتعد عني .. أنت خائن مخادع .

صاح في أسى :

— حاولي أن تفهميني .

صرخت وقد بلغ منها الغضب مبلغه :

— أريد أن أفهم شيئاً واحداً .. استحافظ على

وعدك وتعاونتي ، أم لا ؟

بدا لها التردد واضحاً في ملامحه ، وبدت لها عيناه

حزينتين حائرتين ، قبل أن يخفضهما ، وهو يقول في

صوت اعتصرته المرارة ، ونخفه الألم :

— لا .

اتسعت عيناها ، وتراجعت في ذعر ، ثم اكنست

ملاعنها كلها بالكراهية والغضب ، وهي تقول في

مرارة :

— أيها الخائن .

وفي حركة حادة ، انتزعت دبلك الذهبية من

إصبعها ، وقذفها في وجهه ، وهي تقول في سخط :

— لقد خنت اتفاقنا وأصبحت دبلك تؤلم إصبعي .

ظل ساكناً حزين العينين ، وهي تعدو من أمامه ،

ونختفي غاضبة ، ساخطة ، باكية ، وظل هو ثابتاً في

مكانه ، كتمثال من الحجر ، حتى شعر بيد الدكتور

(صبري) توضع على كتفه ، وسمع صوته القلق يقول :

— ماذا حدث يا (أشرف) ؟ .. لقد أخبرني بعض

العاملين أنك تشاجرت مع (سهام) .

أطرق (أشرف) برأسه ، ونغم في حزن :
- هذا صحيح .

هتف الدكتور (صبرى) في دهشة :
- ولكن لماذا ؟

انحنى (أشرف) ، والتقط الدبلة الذهبية ،
ورفعها ، بين سبابته وإبهامه ، أمام عيني الدكتور
(صبرى) ، وهو يقول في ألم :

- لقد فسخت (سهام) خطبتنا .

أزنج على الدكتور (صبرى) ، فظل عاجزاً عن
النطق دقيقة كاملة ، وهو يحدق في الدبلة الذهبية في
ذهول ، ثم هتف بصوت أجش مختق :

- كيف حدث هذا ؟ .. لم يعض على خطبتكما
يوم واحد بعد .

أطرق (أشرف) ، وهو يقول في حزن شديد :
- لقد اتهمتنى بالحيانة .

نغم الدكتور (صبرى) في مزيج من الدهشة
والحيرة :

***** ٩٦ *****

- الحياة ١٢

أوما (أشرف) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. لأننى رفضت أن أعاونها في البحث عن
حقيقة نسبها .

ثم رفع عينيه إلى عيني الدكتور (صبرى) ، وقال :
- رفضت لأننى عرفت الحقيقة .

شحب وجه الدكتور (صبرى) وهو يقول :

- الحقيقة ١٩ .. أية حقيقة يا ولدى ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يغمغم (أشرف)
في ألم :

- حقيقة نسبها .

ثم أردف في صوت أقرب إلى البكاء :

- عرفت أن (سهام) ليست ابنتك يا دكتور
(صبرى) .

■ ■ ■

***** ٩٧ *****
(٧ - زهور - رحلة قلب)

عادت (سهام) إلى الفيلا باكية حزينة ..

عادت وقد فقد قلبها كل السعادة التي غادرت بها
الفيلا في الصباح ، واكتسب بدلا منها بحرأ من الحزن
والألم ..

لم يخف ذلك التبدل الرهيب على أمها وشقيقتها ،
فأسرعتا إليها ، واحتوتها أمها بين ذراعيها ، وضمتها
إلى صدرها ، وربتت في لوحة على جسدها ، الذي
يرتجف كمصفور مبتل ، في ليلة قارسة البرودة ،
وشاركتها بكاءها في جزع ، في حين سألتها (منى) في
مزيج من القلق والخوف :

- ماذا حدث يا (سهام) ؟

صرخت (سهام) في ألم :

- لقد تركت (أشرف) .. فسخت خطبتي معه .

اتسعت عيون الأم والشقيقة في ذهول ، وهتفت

الأولى في ذعر :

***** ١٨ *****

- فسخت خطبتك ١٩ .. كيف يا بنيتي ؟ .. لقد

كننا أمس صورة للسعادة والهناء .

صاحت (سهام) ، وهي تدفن وجهها المبتل
بالدموع في صدر أمها :

- إنه خائن يا أماء .. خائن .

هتفت الأم في دهشة :

- خائن ١٩

في حين أسرع (منى) تسألها :

- هل كشفت أنه يحب فتاة أخرى ؟

غاص قلب (سهام) بين ضلوعها ...

كيف تخبرها بحقيقة الأمر ؟ ..

كيف تشرح لها طبيعة الاتفاق ، الذي خسانه

(أشرف) ؟ ..

كيف تدلي بالحقيقة ، من دون أن تفضح السر

أمام شقيقتها (منى) ؟ ..

لم تجد لديها ما تفضح عنه ، فهتفت وهي تواصل

بكاءها :

***** ١٩ *****

— إنه خائن فحسب ، ولا أريد التحدث في الأمر .

سألتها والدتها في إصرار :

— هل تأكدت من خيانتة ؟ .. ربما التبس عليك الأمر ، أو ...

قاطعتها (سهام) صارخة :

— كفى يا أمه .. لقد تركته ، ولن أعود إليه أبداً ..

ثم انفلتت من بين ذراعى أمها ، وأسرعت إلى حجرتها ، وأغلقت الباب خلفها ، ثم ارتمت فوق فراشها باكية ..

لم تكن تستطيع — حتى هذه اللحظة — تصور ما فعله بها (أشرف) ..

أخذ عقلها الحزين الملتاع يبحث عن تفسير مقنع ..
تصورته إنساناً وصوليئاً منافقاً ، لعب بقلبيها ،
ومشاعرها ، ليضمن الارتباط بها ، حتى يحتل مكانة
أعلى في مستشفي والدها الخاص ..

تصورته وغد مخادع ، أوقعها في حبائله بخداعه
وانتهازيته ..

رفعت يدها أمام وجهها ، تتأمل إصبعها الخالي ،
بعد أن ترعت منه دبلة الخطبة الذهبية ، واغرورقت
عينها بالدموع ، وهي تتذكر شكلها ، وهي تتألق في
إصبعها منذ ساعات قليلة ..

يا له من قصير عمر هذه الدبلة الذهبية المتألقة !!
لأنها لم تحي حتى يوماً واحداً في إصبعها ..
يا لرحلة قلبها المسكين ! ..

لقد أمضى عمره كله في هناة ، حتى برز ذلك
السرّ الرهيب أمامه ، فبدأ رحلته المعذبة نحو الحقيقة ،
ولم يكذب يلتقي بقلب آخر ، وجد فيه رفيقاً لرحلته ،
وأنيساً محبباً ، حتى خانه الرفيق ، وتخلّى عنه الأنيس
المحب ، وتركه يزدرى عذابه وحده ويواصل رحلته نحو
البحث عن الحقيقة ..

يا لها من وحدة !! ويا لها من رحلة !!
صرخت في أعماقها :

— متى تضع رحالك يا قلبي ؟ .. متى ترسو بك
السفينة على شاطئ الحقيقة ؟ ...

***** ١٠١ *****

***** ١٠٠ *****

— متى تهدأ عواصفك ؟ .. متى تسكن رياحك ؟ ..

لقد تخلى عنها (أشرف) ...

خاتها رفيق رحلة قلبها ...

صرخت وهي تغلق عينيها في ألم :

— إنه خائن .. خائن .. خائن .

وفي اللحظة نفسها كان (أشرف) يجلس كبير

الفرّاد ، في حجرة الدكتور (صبرى) ، ويردد العبارة نفسها :

— لقد شعرت أنني خائن ، لا أستحق قلبها .

تطلع إليه الدكتور (صبرى) بقلب حزين ، ونغم

في صوت شاحب كوجهه :

— ولكنك لست كذلك يا ولدى .. لقد كنت

شهماً شجاعاً .. لقد ضحيت بحبك لها ، وباحترامها لك حتى لا تحطم قلبها .

رفع إليه (أشرف) عينين دامعتين ، ونغم في

حزن :

— ولكن هل كنت على حق فيما فعلت ؟

***** ١٠٢ *****

انتقل حزنه إلى عيني الدكتور (صبرى) ، وهو
يخفضهما متمتماً :

— لست أدري يا ولدى .. لست أدري .

غلقهما الصمت لحظة ، قبل أن يقول (أشرف)

في شروء ، وكأنه يحدث نفسه :

— لقد كنت أتصور في البداية ، أو أتمنى ، أن

تكون (منى) هي ابنتك المتبناه ، ربما لأننى كنت
أخشى من تحطم قلب (سهام) ، لو كانت الحقيقة
عكس ذلك .

ثم ابتسم ابتسامة مريرة ، وهو يستطرد :

— ومن العجيب أن عقلى قد استكان لهذه الأمنية ،

وأخذ يبحث عن الدلائل المنطقية التى تؤيدها ، وأقنعت
نفسى أن الإنسان بطبعه أنانى ، لا يحب أن يشاركه أحد
حبه لأبنائه ، وأنه لا يميل للتبنى إلا إذا كان لم ينجب
طفلاً من صلبه .

أحاطتهما الصمت مرة أخرى ، ثم أردف (أشرف) :

— تصوّرت أنه من المنطقى أن تبني وزوجتك

***** ١٠٢ *****

(منى) ؛ لأنكما لم تكونا قد أنجبنا (سهام) بعد ،
وعندما جاءت (سهام) إلى الدنيا كنتما قد تعلقتما به (منى)
فاحتفظتما بالطفلتين معاً ، وأوليتهما كل حب وعطف
وعناية ، ولم أستطع تصور العكس ، فالإنسان - كما
كنت أظن - حين ينجب ، لا يفكر أبداً في ثبني طفل
آخر .

كان وجه الدكتور (صبرى) شديد الشحوب ،
وكان صوته ضعيفاً متعشرجاً ، وهو يغمغم :
- ثم ١٩

قلب (أشرف) كفيه ، وقال :

- ثم جاء حديث زوجتك أمس في حفل خطبتنا ،
وذكرت أنك وهى تحملان نفس فصيلة الدم (١) .
موجبة ، وسألت أنا (سهام) بالمصادفة عن فصيلة دمها ،
فأجابت أنها (اب) ، وهنا اتضح لي الحقيقة كلها .
أطرق الدكتور (صبرى) بوجهه ، ليخفي دمة
حزينة تسالت عبر مقلتيه ، في حين واصل (أشرف) ،
بنفس لهجته الحزينة :

***** ١٠٤ *****

- إنها نفس الوسيلة المستخدمة في قضايا إثبات
البنوة .. نفس الوسيلة التى تقول إنها تنفى البنوة ، ولكنها
لا يمكن أن تثبتها ، فكلانا يعلم أن قوانين الوراثة لا يمكنها
أن تسمح لزوجين ، يحمل كلاهما فصيلة دم (١) ،
بإنجاب ابنة تحمل فصيلة الدم (١ ب) .. هذا مستحيل
كما يعلم كل منا .

نغمم الدكتور (صبرى) :
- وهكذا كشفت الحقيقة .

أجابه (أشرف) في شرود :

- نعم .. كشفتها ، وأصبحت أرتجف من تصور
كشف (سهام) لها ، وفضلت فسخ خطبتنا عن معاونتى
لها لكشف هذا الأمر .

تطلع إليه الدكتور (صبرى) لحظات في صمت ،
ثم نهض إليه ، ووضع يده على كتفه ، وهو يقول :
- لقد كنت أشك في قوة حبك لـ (سهام) ،
بسبب قلة الوقت الذى استغرقته فى تعارفكما يا ولدى ،
ولكننى واثق الآن من أنك تحمل قلباً عاشقاً نادر الوجود .

***** ١٠٥ *****

مرة ثانية عاد الدكتور (صبرى) مبكراً إلى فيلته ..
ومرة ثانية أثارت عودته دهشة ابنته (منى) ،
وزوجته ، وخاصة حينما سألها في هدوء :

- أين (سهام) ؟

اكتفت (منى) بالتطلع إليه في حيرة ، في حين
نعمت زوجته « وهى تشير إلى الطابق العلوى :

- فى حجرتها .. ماذا حدث يا (صبرى) ؟

أجابها وهو يتجه إلى حجرة (سهام) :

- مشكلة بسيطة ، متحل عاجلاً بإذن الله .

وشاركتها (سهام) دهشتها ، عندما رأت والده
يدلف إلى حجرتها فى صمت ، وقد شقت ملامحه عن
صرامة لم تعهد لها به من قبل ، فأشاحت بوجهها عنه ،
ونخفضت عينيها دون أن تنطق بكلمة واحدة ، إلا أنه
اقترب منها ، ومد قبضته أمام وجهها ، وفتحها فى
هدوء ، واتسعت عيناها دهشة ، وهى تحدق فى الدبلة

سقطت قطرة دمع حزينة من عيني (أشرف) ،
وهو يقول فى ألم :

- وما الفائدة من هذا الكشف يا سيدى ؟ لقد
كان ثمنه باهظاً ..

ثم أردف وهو يخفى وجهه بين راحتيه :

- كان الفراق بينى وبين (سهام) إلى الأبد .



الذهبية المستقرة في راحته ، قبل أن ترفع عينيها إليه ،
وتغمغم في صوت مرتجف :

— ما هذا ؟

أجابها في هدوء لا يخلو من الصرامة :

— دبلة خطبتك .. لقد سقطت من يدك في
المستشفى ، فرأيت إحضارها لك مرة أخرى .

هتفت في استنكار واعتراض :

— أبي ..

قاطعها في صرامة عجيبة : لم تعهدا فيه أبداً :

— لا أريد كلمة واحدة يا (سهام) ، ستميدن هذه

الدبلة إلى إصبعك فوراً .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهي تهتف :

— ولكنني لا أريده .

أدهشها أن أجابها في حزم :

— لم أطلب منك أن توافقي على خطبته ، إنما أطلب

منك وضع هذه الدبلة في إصبعك .

***** ١٠٨ *****

رفعت عينيها إليه في دهشة ، وارتعدت الكلمات
على شفيتها : وهي تقول :

— ماذا تعني يا أبي ؟

جلس إلى جوارها على طرف الفراش ، وقال :

— إنني أحاول الحفاظ على مظهرنا الاجتماعي .

رددت خلفه في دهشة :

— مظهرنا الاجتماعي ؟

أجابها في حزم غاضب :

— نعم .. ماذا يقول الناس والمجتمع ، حينما يعلمون

أن ابنتي قد فسخت خطبتها ، بعد أقل من أربع

وعشرين ساعة منها ؟ .. سنصبح مضخة في الأفواه ،

وأنا أرفض هذا تماماً .

حارت في الجواب لحظات ، ثم قالت في حنق :

— ليقولوا ما يحلو لهم ، إنها مجرد خطبة فاشلة

لا أكثر .

هتفت في غضب :

— هذا ما يقوله أبناء جيلك ، أما جيلنا فيختلف ،

والمجتمع لا يتكوّن كله من جيلك أنت يا (سهام) ، الذي

***** ١٠٩ *****

ينظر إلى الأمور كلها نظرة بسيطة سطحية لا مبالية .
إنه يتكوّن من جيلينا معاً ، ونحن جزء لا يتجزأ منه ،
ولا بد لنا من الحفاظ على تقاليدنا .

صاحت في مخط : .

— أي منطق هذا الذي يجعلني أرتبط بإنسان أرفضه ،
خوفاً من الأقاويل .

أجابها في صرامة :

— منطق المجتمع الذي نحيا فيه ، ومنتزج به .
ثم نهض في حدة ، ونحرك خطوة إلى الإمام ، وقال
وهو يولبها ظهره :

— أكرر أنني لم أطلب منك الارتباط به ، ولكنني
أطلب أن تستمر الخطبة شكلاً ، حتى يمضي من الوقت
ما يكفي لإعلان فسخها .

غمغمت في حق :

— هذا نوع من النفاق الاجتماعي .

أجابها في برود :

— فليكن ، ولكننا سنحرص عليه .

ثم استدار إليها مردفاً :

— سيقى أمر فسخ الخطبة محصوراً بين جدران
هذه القبلا ، حتى أسرة (أشرف) لن تعلم به ، وستلتقيان
أنت وهو ، وتخرجان للتنزه كما يفعل أي خطيبين
محيين . وحتى يحين وقت فسخ الخطبة ، سيظل هذا
الأمر سرّاً دفيناً .

غمغمت في ضيق :

— مثل السر الآخر .

كانت تريد اجتذاب عطفه بذكر ذلك ، ولكنه
أجابها في حزم :

— تماماً .

ثم وضع الدبلة الذهبية أمام عينيها ، وهو يقول
في صرامة :

— والآن ضعي هذه الدبلة في إصبعك .

تناولت (سهام) الدبلة الذهبية في استسلام ، ودستها
في إصبعها في بطة ، ثم قالت في عناد :

— إنني أرفض هذا الأسلوب ، ولكنني سأطيع
أوامرك يا أبي .

وأردفت في حق :

— وليكن معلوماً لديك أن هذا سيزيد من كراهيتي
لـ (أشرف) .

كان هذا رأى والدتها أيضاً ، حينما أخبرها الدكتور
(صبرى) بالأمر ، ولكنه أجابها قائلاً :

— لست أظن أنها ستكرمه إلى هذا الحد .. ربما
أحنقها في البداية اضطرارها للتعامل معه كخطيب ،
ولكننى واثق أن (أشرف) سيعرف كيف بأسرها في النهاية .

هزت الأم رأسها في حيرة ، وقالت :

— وما رأى (أشرف) في خطتك هذه ؟

مطّ شفتيه ، وقال :

— لقد أبت عليه كرامته قبول الفكرة في البداية ،

ولكننى كنت مصرّاً على ضرورة محاولة الإصلاح بينهما ،
وبعد جهد جهيد أمكننى إقناعه .

سرى الحنان فى عيني الأم وصوتها ، وهى تقول :

— من الواضح أنه يحبها حقاً .

أجابها الوالد فى ثقة :

— بلا شك .. لقد احتمل إهانتها له ، واتهامها لياه

بالخيانة ، مفضلاً ذلك على معرفتها للحقيقة ، وقبل تظاهره

***** ١١٢ *****

بفرض نفسه عليها أملاً فى اجتذاب قلبها مرة أخرى ،
وهذا هو الحب الحقيقى ، الذى ينسى الإنسان فيه نفسه ،
ولا يفكر إلا فى من يحب ، فتكون لديه أية تضحية من أجله .
نعمت الأم فى شروء :

— يدهشنى أن تشر علاقتهما القصيرة مثل هذا
الحب القوى .

أوما برأسه وهو يقول :

— لقد أدهشنى ذلك أيضاً ، ولكننى أعتقد أنه

يحبها بأكثر مما تحبه هى .

عقدت الأم حاجبها ، وهى تسأله فى حيرة :

— ولم تظن ذلك ؟

لوح بكفه فى الهواء ، وهو يقول :

— انظرى كيف كان تصرفهما إزاء أول عاصفة

تهب على حبيهما .. لقد ضحى هو من أجلها ، وقاوم

العاصفة فى شهامة وقوة ، فى حين تراجعت هى فى

سرعة ، وفضلت الهبوط عند أول شاطئ .

هتفت الأم وكأنها تدافع عن ابنتها :

— ولكنه أكبر سنّاً منها ، وأكثر خبرة ، وهو

***** ١١٣ *****

رجل ، والرجال أكثر صلابة - في العادة - من النساء .
ابتسم ، وقال وهو يحيطها بذراعيه في حنان :
- ولكنني أراك شديدة الصلابة يا زوجتي العزيزة .
أراحت رأسها على صدره ، وهي تهمس :
- هذا لأنني أحبك يا زوجي الحنون .
ضحك وهو يقول :

- أنت توافقين على رأيي إذن ؟

استكان رأسها على صدره لحظة في صمت ، ثم
رفعت عينيها إليه ، وقالت :

- صدقتي يا (صبرى) .. إن (سهام) ما زالت
تحب (أشرف) ، ولولا ذلك ما انهارت مشاعرها على
هذا النحو حينما تركته ، ولكنها تعاني صراعاً عنيقاً
يؤرق نفسها ، وينأى بها عن التفكير السليم .

وافقها بإيماءة من رأسه ، وهو يغمغم :

- نعم .. إنها تعاني عذاب رحلة البحث عن الحقيقة .
غمغمت في أمسي :

- الحقيقة التي يعرفها (أشرف) ، والتي حرصنا
على إخفائها طيلة كل هذه الأعوام .

ثم رفعت رأسها إليه « وهي تسأله في قلق :
- ولكن هل يعرف الحقيقة كلها ؟
صمت الوالد لحظات ، ثم أجاب في هدوء :
- كلاً يا عزيزي .. إنه يعرف نصف الحقيقة
فحسب .

تمتت في حزن :

- يا للقدر ١١ .. لقد أبي أن يجعلنا ننعم بزواج
ابتثنا في سعادة .

مطأ شفتيه ، وهو يقول :

- من يلري يا عزيزي ؟ .. ربما كان يدخر لنا
مزيداً من السعادة في المستقبل .

سالت من عينيها قطرة دمع ، وهي تقول :

- كيف ؟ ١٢ .. لقد أفشى السر الذي احتفظنا به
طويلاً بلا رحمة ، أتظن أنني لا أتعذب طيلة الوقت ،
وأنا أقرأ حيرة (سهام) وعذابها في عينيها ؟

أتظن أنني شعرت لحظة واحدة بالراحة « منذ
علمت هي بالسر ؟ ..

توقفت سيارة (أشرف) الصغيرة أمام كازينو صغير على ضفاف نيل القاهرة الساحر ، بعد شهر من هذه الأحداث ، وهبط هو منها في حلة أنيقة داكنة ، ودار حول مقدمة السيارة في رصانة ، وفتح بابها الآخر ليسمح لـ (سهام) بالهبوط ، كما يفعل أى سيد مهذب .. وهبطت هي من السيارة أنيقة رقيقة ، كزهرة يانعة في بستان وارف ، وتأبطت ذراعه في حركة آلية ، وسارت إلى جواره داخل الكازينو ، حتى ضمتها مائدة أنيقة في ركنه ، فغمغمت هي في صوت ينم عن الضجر :

- لقد سئمت هذه التمثيلية السخيفة .

أجابها في هدوء :

- وأنا أيضاً .

مطّت شفيتها في ازدياء ، وقالت :

- لست أدري كيف يمكن لرجل يعتز بكرامته ،

أن يقبل مثل هذا الوضع السخيف ؟

ضمها إلى صدره مرة أخرى في حنان ، وهمس :
- ربما كان القدر رحيماً بنا ، حينما كشف لها نصف السر فحسب .

رفعت عينيها الدامعتين إليه في لهفة ، وهي تسأله :
- هل تظن ذلك ؟

عاد يضمها إلى صدره ، ويربع رأسها عليه ، وهو يشرد ببصره بعيداً ، ويغمغم :

- دعينا نترك مركب الحياة يسير يا عزيزتى ، ولنترك القدر يلعب لعبته ، دون أن نحاول معاندته ، أو مقاومته .

ثم أردف بمزيد من الشرود :

- ثم من يدري ، ماذا تخبئه لنا الأيام ؟

غمغمت في حزن :

- نعم .. من يدري ؟

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيبها في برود :
— إنه وضع فرضته الظروف الاجتماعية .

عقدت حاجيها ، وهي تقول في حلق :

— تَبّاً للظروف الاجتماعية .. إنني أكره تواجدنا معاً .
عاد يجيبها في برود :

— سرعان ما تعتادين الأمر .

هتفت في غضب :

— أعتاده ١٩

ثم تنبت لارتفاع صوتها ، فعادت تخفضه وهي
تقول :

— هل تظنني أعتاد مثل هذا الموقف السخيف ؟

حدّجها بنظرة باردة ، خيل إليها أنها غاصت
إلى أعماقها ، وسبرت أغوارها ، قبل أن يميل نحوها ،
ويقول في لهجة اشتمت منها رائحة الغضب :

— اسمعي يا (سهام) .. كلانا يرفض هذا الوضع ،

فأنت تكرهين التظاهر بالسعادة مع شخص ترفضينه ،
وأنا أكره وأبى أن أرتبط بفتاة تكرهني ، ولكنني

***** ١١٨ *****

احتمل سخافة الموقف من أجل والدك ، الذي أجّلّه ،
وأحترمه كثيراً .

نمغمت في لهجة استفزازية :

— ومن أجل منصب أكبر ، ودخل مضاعف في
مستشفاه الخاص .

احتقن وجهه في شدة ، وارتسم الغضب في كل
خلجة من خلجات وجهه ، حتى خيل إليها أنه سيصفعها
على وجهها ، فانكشت في مقعدها في خوف ، إلا أنه
استعاد هدوءه بسرعة ، وبدأ صوته أكثر برودة ، وهو
يقول :

— هل يعجبك المكان ؟

أغضبها تجاهله لاستفزازها الواضح ، فهتفت في
صوت خافت :

— أنت رجل بلا كرامة .

عاد وجهه يحتقن في غضب ، ومال نحوها بغتة ،
وهو يقول في صرامة أخافتها :

— اسمعيني جيداً .. إنني لم أعد أحتمل أسلوبك

***** ١١٩ *****

المفرق في الاستفزاز هذا ، وأكرر أن كلينا يبعض هذا
الوضع ، ولكننا سنحتمله معاً ، ومع ذلك لن أغفر أى
تلميح استفزازى جديد ، ولو كررت قولك هذا مرة
أخرى فسأصفعك على وجهك ، غير مبالي بالمكان ،
أو الزمان الذى نتواجد فيه .

تسلل الخوف من كلماته إلى عروقها ، حتى أنها
لم تستطع النطق بكلمة واحدة ، وبدت لها عيناه
الخضراوان شديدي الصرامة ، فارتجف جسدها أمام
نظراتهما ، وانكشفت في مقعدها حتى بدا وكأن جسدها
الصغير يزداد ضآلة ، مما أثار في قلب (أشرف) حناناً
دافقاً ، فلان صوته وهو يستطرد :

— هل فهمتني ؟

أومات برأسها إيجاباً ، فاعتدل ، واستعاد صوته
هدوءه ، وهو يقول :

— والآن هل يعجبك المكان ؟

أجابته في استسلام ، وكأنها لم تعد تجرؤ على

معاندته :

— نعم .

كانت المشاعر التى تملأ كيان كل منهما عجيبة
متضاربة ..

كان الناظر إليهما من بعيد يظنهما عاشقين ،
يرفلان في ثوب السعادة والهناء ..

يظن حديثهما الهامس مناجاة حب وهيام ..

ولكن كلاً منهما يحمل للآخر مشاعر متناقضة .

كان (أشرف) — كمهده — يشعر نحوها بحب
جارف قوى ، زادت الأيام من تأججه واشتعاله ،
ولكنه في الوقت نفسه يشعر بالسخط من أسلوبها في
معاملته ، ويتشكك في كل يوم يمر بهما في صحة خطوة
والدها ..

كان والدها يظن أن تقاربهما سيوقف في قلبها
مشاعر الحب نحوه ، ولكن (أشرف) كان يلتمس منها
في كل يوم مزيداً من التباعد والتناوب ، حتى كره ذلك
الوضع ، وبات يقاوم في كل لحظة رغبته في إخبارها
بالحقيقة ..

ولكن شهامته ، وحبها لها ، كانا يقفان له دائماً
بالمرصاد ..

كان يحتمل كل شيء من أجلها ..

أما (سهام) فقد كان عقلها وقلبها يتصارعان
عشرات المرات في اليوم الواحد ..

كان قلبها يزداد تعلقاً بـ (أشرف) ، وحباً له ،
كلما تلاقيا وتعارفا ، ولمست رجولته ، ورقته وحنانه ..

وكان عقلها يرفض أن يغفر له خيائنه لاتفاقهما ..
كانا كعاشقين يجلسان على حافة بركان ، ولا أحد
منهما يعلم مصيره ..

فإذا أن يثور البركان ، ويقذف حممه الملتببة لئلتهم
كل شيء ، وتجرّف أمامها كل المشاعر ، أو يهدأ ،
ويخمد ، ويتركهما ينعمان بحياتهما في حب وتوافق ..

الحسنة الوحيدة لهذه المشاعر المتناقضة ، هي أن
(سهام) قد نسيت أمر البحث عن نسبها ..

كانت تعيش بكيانها كله في مشكلة علاقتها
بـ (أشرف) ..

***** ١٢٢ *****

توقفت سفينة رحلتها في مرفأ حبه ، وحاتت ..
أتواصل المسير ، أم تلقى مرساها في هذا المرفأ ..
ولم تهدأ حيرتها أبداً ..

وفي تلك الليلة عادت إلى الفيلا ، وهذا السؤال
يشغل عقلها تماماً ، حتى أنها لم تشعر بشقيقتها (منى)
وهي تدخل حجرتها ، إلا عندما قالت (منى) في مرح :
— أين عقلك ؟

انتفض جسدها في دهشة ، وكأنها تستيقظ من حلم
مفاجيء ، ثم اغتصبت ابتسامة وهي تقول :
— لقد شردت قليلاً فحسب .

جلست (منى) إلى جوارها على حافة الفراش ،
وسألتها في اهتمام :

— أكنت تفكرين في (أشرف) ؟

كادت تجيبها بالإيجاب ، إلا أن عنادها منعها من
ذلك ، فأشاحت بوجهها وهي تقول :
— كلاً .

ابتسمت (منى) في حنان ، وقالت :

***** ١٢٣ *****

— لقد تغيرت يا (سهام) .. إنها أول مرة تخفين
عني حقيقة مشاعرك .

ترقرقت دموعه في عيني (سهام) ، ثم سرعان
ما انطلقت تبلل وجهها ، وهي تهتف :

— محال أن أفعل يا (منى) .. إنك شقيقتي ،
وصديقتي الوحيدة .

احتضنتها (منى) في حنان ، ومسحت على شعرها
الأسود الناعم ، وهي تغغم :

— لقد كنت تفكرين فيه .

همست (سهام) من وسط دموعها :

— نعم يا (منى) .

عادت (منى) تسألها في حنان :

— هل تحبينه ؟

لفهما الصمت لحظة ، قبل أن تغغم (سهام) :

— لست أدري يا (منى) .. إني حائرة .

قالت (منى) في لهجة عطوف :

— ولماذا تختارين يا (سهام) ؟ .. إني أراه شاباً

وسيماً ناجحاً ، ورجلاً مهذباً حنوناً ، وهو في الوقت
نفسه خطيبك رسمياً ، فلم لا تستسلمين لحبه .

هتفت (سهام) ، وهي تبكي :

— إنه خائن يا (منى) .

سألها (منى) في حيرة :

— وما وجه خيانتة ؟

حارت (سهام) في الجواب ، فغمغمت في انكسار :

— إنه خائن فحسب .

صمتت (منى) لحظات ، ثم قالت في هدوء :

— اسمعيني يا (سهام) .. الخيانة كلمة قاسية ،
واتهام عنيف ، وليس من السهل أن نلقى به هكذا ، في
قسوة وصرامة ، ودعيني أسألك سؤالاً : كيف يتعامل
معك (أشرف) طوال هذا الشهر ؟

غمغمت (سهام) في استسلام :

— إنه يبدو بالغ الرقة والحنان والتهذيب .

سألها (منى) في اهتمام :

— وهل يبدو لك أنه يفتعل ذلك ؟

ترددت (سهام) لحظة : استرجعت فيها كل
تفاصيل علاقتها بـ (أشرف) . ثم أجابت :
— كلاً .

هتفت (منى) :

— لماذا ترفضينه إذن ؟

لاذت (سهام) بالصمت ، وازداد انهماك الدموع
من عينيها . فعادت (منى) تربّت على كتفها في حنان ،
وتستطرد :

— راجعي موقفك معه يا (سهام) .. ربما أخطأت
في اتهامك له بالخيانة ..

ربما أسأت فهم بعض الأمور ، أو تعسفت في
تفسيرها .. لا بد أن تستمعي لتبريره أولاً .

أضاعت كلمات (منى) طريقاً جديداً أمام (سهام) ،
وجعلتها — لأول مرة منذ خلافها مع (أشرف) —
تنظر للأمور بنظرة أخرى ..

لماذا نقض (أشرف) اتفاقهما ؟ ..

لماذا تبدل بهذه السرعة ؟ ..

لقد تصوّرت — أياها — وصولاً منافقاً ، ولكنها ،
وبعد أن استزادت تعرفاً له ، أصبحت تنفي هذا التصور
تماماً ، فلماذا فعل ذلك ؟ ..

حتى لو كان وصولياً ، أما كان يجدر به أن
يحرص على إرضائها ، حتى يتم زواجهما ..

بدا لها التساؤل عسيراً ، فغمغمت في خفوت :
— أعتقد أنك على حق يا (منى) ، ينبغي أن أسأله .
ثم أردفت في لهجة حازمة : تشفّ عن اتخاذها
لهذا القرار :

— نعم .. لا بد أن أسأله .

• • •



جلس الدكتور (صبرى) يراجع بعض الأوراق الخاصة بمستشفاه . وكان قد وصل إلى قبة انهماكه عندما سمع طرقات منتظمة على باب حجرته ، فقال دون أن يرفع عينيه عن الأوراق :
- ادخل .

سمع صوت الباب وهو يفتح في هدوء ، وصوت أقدام رصينة تدخل إلى حجرته . فرفع عينيه إلى زائره ، وابتسم في حنان ، وهو يقول :

- مرحباً يا (أشرف) .. كيف حالك ؟

نعم (أشرف) ، وهو يغتصب ابتسامة هادئة :
- في خير حال يا سيدى .

أزاح الدكتور (صبرى) أوراقه جانباً ، وهو يسأله :

- إنك تبدو مرهقاً .. هل تؤذيك حرارة الجو

في يونيو ؟

ابتسم (أشرف) ابتسامة باهتة ، وقال :

***** ١٢٨ *****

- كلا يا دكتور (صبرى) ، فالمستشفى مزود بمكيفات هواء تجعلنا ننسى حرارة الجو في الخارج .
لم يغب توتره عن عيني الدكتور (صبرى) ، ولكنه تظاهر بتجاهل ذلك ، وهو يقول في مرح مصطنع :
- من الطريف أنك حضرت إلى مكنتي .. كنت سأذهب إليك الآن ، لأدعوك إلى حفل عيد ميلاد ابنتى ...

قاطعة (أشرف) في صوت حائق :

- لاني لم أعد أحتمل يا سيدى .

عقد الدكتور (صبرى) حاجبيه ، وهو يسأله في قلق :

- لم تعد تحتمل ماذا يا ولدى ؟

صمت (أشرف) لحظة ، ثم رفع عينيه إلى أستاذه ، وبدأ الحزن متجلياً فيهما ، وهو يقول في مرارة :

- لم أعد أحتمل الاستمرار في تنفيذ خططك يا سيدى .

صمت كلاهما بعض الوقت ، وبدأ الصمت ثقيلاً

***** ١٢٩ *****

(٩ - زهور - رحلة قلب)

يصعظ صابريهما ، وتصيق له أنفاسهما ، قبل أن يقول
الدكتور (صبرى) فى هدوء :

— أما زالت (سهام) تقاوم التقارب بينكما ؟
هتف (أشرف) فى ألم :

— إنها لا تقاومه فحسب ، بل تقاتله وتحاربه فى
شراسة .

ثم خفت صوته ، وهو يردف :

— ثم إنها تعتمد استفزازى ، وجرح كرامتى
كلما التقينا .

شعر الدكتور (صبرى) بالندم والحزن ، فغمغم
فى أسف :

— لقد كنت أظن ..

قاطعه (أشرف) قائلاً :

— أنا أيضاً كنت أظن أن تقاربنا سيربط قلوبنا
مرة أخرى برباط الحب ، بل إننى كنت أحلم بذلك
وأتمناه ، لهذا وافقت على المضى قدماً فى خطتك .

ثم لَوَّح بكفيه ، وهو يقول فى مرارة :

***** ١٢٠ *****

— ولكن النتيجة كانت عكسية .. إنها تزداد عناداً
وإصراراً على الرفض ، فى كل مرة نلتقى فيها .
ونهض فى حدة ، وهو يستطرد :

— لقد احتملت إهاناتها واستفزازها طيلة الوقت ،
حتى فقدت أعصابى أمس وكدت أصفعها فى غضب .
نغمم الدكتور (صبرى) فى ألم :

— يا إلهى !!

هتف (أشرف) :

— لهذا قررت التوقف عن تنفيذ خطتك ياسيدى ..
قبل أن يتحول حبي لـ (سهام) إلى كراهية ، وقبل
أن تصل جراح كرامتى إلى ذروتها ، فأرفضها كما
ترفضنى .

وأطرق برأسه ، وهو يردف فى حزن :

— ومعترة لقولى هذا ياسيدى .

ظل الدكتور (صبرى) جالساً خلف مكتبه فى
صمت ، وقد اكتست ملامحه بالأسف والحزن ، ثم
نهض فى بظء ، واتجه إلى حيث يقف (أشرف) ،

***** ١٢١ *****

وربّت على كتفه ، وهو يقول في حنان أبوي صادق :
— لا أحد يمكنه أن يلومك على موقفك هذا
يا ولدي .

ثم أردف في أسي :

— لقد حاولنا وفشلنا .

بذل (أشرف) مجهوداً كبيراً ، لينزع دمة حزينة
من الفرار عبر عينيه ، وهو يغمغم بصوت مختنق :
— لا يمكن فرض العواطف والمشاعر بالقوة
يا سيدي .. صحيح أنني أحب (سهام) ، ولكنه من
المستحيل أن أجبرها على مبادلتني الشعور نفسه ،
وما دامت تصرّ على رفضي ، فلن أحاول إجبارها على
العكس .

واكتسب صوته رنة حزينة ، وهو يستطرد :

— وأتمنى لها زواجاً موفقاً ، مع زوج يحبها ونحبه .

نغمم الدكتور (صبري) ، وهو يجفف دمة فارة :

— إنه القدر يا ولدي .

ثم عاد وربّت على كتف (أشرف) ، ويقول :

***** ١٣٢ *****

— الله وحده يعلم كم تمنيت زواجكما ، ولكنه
القدر .

وازداد صوته خفوتاً ، وهو يقول :

— ومن يلري ؟

انتزع (أشرف) من إصبعه الدبلة الذهبية ، التي
تحمل اسم (سهام) ، وناولها للدكتور (صبري) ،
وهو يقول في حزن :

— حان الوقت لوضع حد لخطتك يا سيدي ..
اعط هذه الدبلة الذهبية لـ (سهام) ، وقل لها إنها
أصبحت حرة ، وإنني أتمنى لها مستقبلاً سعيداً .

التقط الدكتور (صبري) الدبلة الذهبية بين أصابعه ،
وشدّد قبضته عليها في قوة ، وكأنه يأبى وصول الأمور
إلى هذا الوضع ، ولم يكذب فعل حتى دقّ باب حجرته
مرة أخرى ، فقال في شرود :

— ادخل يا من تدق الباب .

ففتح الباب في هدوء ، وظهرت خلفه واحدة من
ممرضات المستشفى ، قالت في احترام :

***** ١٣٣ *****

— الآنسة (سهام) ابنة سيادتك يا دكتور (صبرى)
تطلب مقابلة الدكتور (أشرف) فى حجرته .

كان الخبر مفاجئاً لكليهما ، فتبادلا نظرة دهشة ،
قبل أن يقول الدكتور (صبرى) فى حماس عجيب :
— أخبر بها أنه سيأتى إليها فوراً .

غادرت الممرضة الحجرة ، وهتف (أشرف) فى
دهشة :

— عجباً !! .. إنها أول مرة تأتى فيها (سهام)
لزيارتى ، منذ خلافتنا .
تألفت عينا الدكتور (صبرى) فى أمل ، وهو
يقول :

— لعلها لعبة أخرى من ألعاب القدر يا ولدى .
ثم أردف فى حماس :
— اذهب إليها ، فلا ريب أن زيارتها المفاجئة
هذه تحمل أمراً جديداً .

تردد (أشرف) لحظة ، ثم نعمم :

— من يدري ؟ .. ربما بلغ منها الضجر مبلغاً جعلها
تأتى إلى هنا ، لتفعل نفس ما فعلته أنا منذ لحظات .

هتف الدكتور (صبرى) فى حماس :
— دعنا لا نسبق الأحداث يا ولدى .. اذهب إليها
أولاً ، واستعلم منها كل شيء .
استدار (أشرف) بهم بمغادرة الحجرة فى قلق ،
إلا أن الدكتور (صبرى) أوقفه قائلاً :
— انتظر يا (أشرف) .

استدار إليه (أشرف) ، فناوله الدكتور (صبرى)
دبلته الذهبية ، وقال :
— ضع هذه فى إصبعك وأنت تلتقى بها .. ومن
يدري ؟ .. فربما ظلت فيه إلى الأبد .



كتم (أشرف) انفعاله القوى ، وهو يعبر حجرته ،
وتقع عيناه على وجه (سهام) ..

كانت (سهام) متألفة هذا الصباح أيضاً ، تذوب
جمالاً ورقة ..

كانت ترتدى ثوباً أنيقاً ذا لون بنفسجي هادئ ،
وقد تركت شعرها الأسود ينسدل على كتفها كنه
حنون ناعم ، وبدت ملامحها غاية في الرقة ، وهي
تتطلع إلى (أشرف) في هدوء ، حتى أن قلبه خفق
بين ضلوعه في حب ، وهو يقول :

- مرحباً يا (سهام) .. كم تسعدني رؤيتك .

ابتسمت في هدوء ، وقالت :

- لقد أتيت في زيارة عمل ، لو صح القول .

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم في دهشة :

- زيارة عمل ؟

أجابته في هدوء :

***** ١٢٦ *****

- نعم .

اتخذ المقعد المقابل لها ، وشبك أصابع كفيه أمام
وجهه ، وهو يسألها :

- وما هو نوع العمل ؟

صمتت لحظة ، وكأنها تستجمع شجاعته وأفكارها ،
ثم قالت في حدة مفاجئة :

- هناك أمر معلق بيننا ، لم نحسمه بعد .

سألها ، وهو يذل جهداً كبيراً ليحافظ على هدوئه :

- أي أمر هذا ؟

مالت نحوه ، وتطلعت إلى عينيه مباشرة ، ولكنها

لم تستطع تحمل نظرات عينيه النفاذتين ، فخفضت عينها
وهي تقول :

- لماذا رفضت معاونتي في البحث عن حقيقة نسي ؟

فاجأه سؤالها ، وحمد الله أنها خفضت عينها ، وإلا

رأت شحوب وجهه ، وهو يقول :

- ولماذا السؤال ؟ مادمننا لا تنوى الاستمرار في

علاقتنا ؟

***** ١٢٧ *****

قالت في عصبية :

— أريد أن أعرف .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم أجابها في هدوء :

— لقد قلتها بنفسك .. إني و صولي منافق مخادع .

هتفت في ضيق :

— كلا يا (أشرف) ، ليس هذا هو السبب الحقيقي .

تضاعفت دهشته ، وانتقلت حيرته إلى صوته :

وهو يغمغم :

— لماذا تغير رأيك في هذا الشأن ؟

أشاحت بوجهها ، وهي تقول :

— لأنني أصبحت واثقة من أن هذا ليس السبب

الحقيقي .

ثم استدارت إليه ، وقالت في لهجة أقرب إلى

التوسل :

— لماذا يا (أشرف) ؟

كان شحوب وجهه أكبر مما يمكنه إخفاؤه ،

وهو يقول :

— دعينا من هذا الأمر يا (سهام) .

نهضت في عصبية ، وهي تهتف :

— كلا يا (أشرف) .. لن أتجاهل هذا الأمر

أبداً ، ولا بد لي من معرفة سرّ عدم رغبتك في معاونتي .

غمغم في ألم :

— (سهام) ..

قاطعته في حدة :

— لقد قضيت ليلتي كلها أبحث عن تفسير مقنع

لترجعك عن اتفاقنا ، ولم أجد إلا تفسيراً واحداً ..

ثم أردفت في صوت مرتجف صارم :

— إنك كشفت أنني لست ابنة (صبرى مختار) .

ارتجفت عضلات وجهه ، وشحب حتى كاد

يتحول إلى اللون الأبيض ، وهو يغمغم في صعوبة :

— (سهام) ..

قاطعته مرة أخرى ، وهي تهتف في صوت يجمع

بين الحدة والرجاء :

— هل هذا هو السبب الحقيقي يا (أشرف) ؟

تحركت شفتاه ، دون أن يخرج من بينهما حرف واحد ، فعادت تهتف في عصبية :

— أهذا هو السبب يا (أشرف) ؟

أنغمض (أشرف) عينيه في قوة « وارتجف جسده في لوحة وألم ..

تمنى لو أن هذا اللقاء لم يكن حقيقة ..

تمنى لو أنه مجرد كابوس مزعج ، لن يلبث أن يستيقظ منه هائلاً ..

خفق قلبه في قوة ، والتهبت مشاعره في عنف ..

ماذا يمكنه أن يفعل ؟ ..

ماذا يقول إزاء إصرارها على معرفة الحقيقة ؟ ..

أنقذته طرقات مفاجئة على باب حجرته ، فأسرع يقول في صوت مختنق :

— ادخل يا من بالباب .

ابتعدت عنه (سهام) في غضب ، في حين تحرك الباب ، وظهرت خلفه (زينب) رئيسة الممرضات ، وهي تقول :

***** ١٤٠ *****

— الدكتور (فايز) اعتذر عن نوبتيته بسبب ...

بترت عبارتها بغتة ، عندما وقع بصرها على (سهام) ، وتهللت أساريرها ، وهي تهتف في وُد :

— آمنة (سهام) ؟ كم تسعدني رؤيتك ..

ثم أسرعت إليها ، وضمتها إلى صدرها في حرارة ، وهي تقول :

— كيف حالك يا بتي ؟

أجابتها (سهام) في برود :

— كيف حالك أنت يا عمي (زينب) ؟

لم تنبئه (زينب) إلى برود صوت (سهام) ، وقبلتها في حرارة ، وهي تقول :

— لقد كنت أسعد الناس بسماع خبر خطبتك

للدكتور (أشرف) ، فأنا أعرفك منذ طفولتك .. بل

منذ مولدك في (بور سعيد) « حينما كان الدكتور

(صبرى) ما يزال طبيباً صغيراً هناك و ...

برقت عينا (سهام) بغتة ، وتردّدت عبارات

(زينب) في عقلها ..

***** ١٤١ *****

أعرفك منذ طفولتك ..

منذ مولدك في (بور سعيد) ..

إذن فـ (زينب) هي مفتاح السر ..

هي التي يمكنها أن تنهى حيرتها ..

أمسكت فجأة بكتفي (زينب) في قوة ، وهتفت

في حدة أدهشت هذه الأخيرة :

— (زينب) .. هل تذكرين مولدي ؟

نعمت (زينب) في دهشة :

— ماذا تعنين يا بني ؟

ازدادت حدة صوت (سهام) ، وهي تسألها في قسوة :

— لقد تبني الدكتور (صبرى) طفلة .. أليس

كذلك ؟

هتف (أشرف) في جزع :

— (زينب) .

حارت عينا (زينب) بين (أشرف) و (سهام) ،

ولكن (سهام) انتزعتها من حيرتها ، وهي تهز كتفها

في قوة ، وتسألها في حدة :

***** ١٤٢ *****

— أليس كذلك يا (زينب) ؟

ترقرقت دمعة في عيني (زينب) ، وهي تغغم :

— بلى .. بلى .. لقد حدث هذا .

اتسعت عينا (سهام) في ذعر ، ولكنها واصلت

أسئلتها في صرامة :

— أليس كانت هذه الطفلة المتبناه يا (زينب) ؟ ..

أنا أم (منى) ؟

صرخ (أشرف) مرة أخرى في ألم :

— (زينب) ...

ولكن عينا (سهام) تفجرتا بالدموع ، وهي تسأل

(زينب) في ضراعة :

— من منا يا (زينب) ؟

بدا صوت (زينب) حزينا بائسا ، وهي تغغم :

— لست أدري يا بني .. لست أدري .. أقسم لك .

تهد (أشرف) في ارتياح ، ولكن ارتياحه لم يدم

إلا لحظة واحدة ، فقد عادت (سهام) تسأل (زينب)

في حدة ، هي أقرب إلى التوصل :

***** ١٤٣ *****

— حسناً .. متى كان ذلك يا (زينب) ؟ .. في
أى شهر من شهور السنة ؟ ..
في الصيف أم الشتاء ؟

تردّدت (زينب) لحظة ، ولكن (سهام) أخذت
تبكي في حرارة ، وهي تسألها :

— متى يا (زينب) ؟ .. متى ؟

شاركتها (زينب) دموعها ، وخفضت عينيها ،
وهي تغغم :

— إنه تاريخ لا ينسى يا بنتي .. وما زالت أصوات
القنابل تدوي في أذني ، وهو يحاول مساعدة الأم الشابة
— رحمها الله .

اتسعت عينا (سهام) ، وهي تغغم في دهشة :

— أصوات القنابل ١٩

أومات (زينب) برأسها إيجاباً في ألم ، وغمغت في
صوت كسير :

— نعم يا بنتي .. إنه تاريخ لا ينسى .. لقد كان ذلك
أيام النكسة .. في يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

تراخت قبضتا (سهام) حول كتفي (زينب) «
وسقط ذراعها إلى جوارها « واتسعت عيناها في ذعر
ودهشة ، وهي تغغم :

— في يونيو ١٩

ثم أخفت وجهها بين راحتيها ، وانخرطت في بكاء
عنيف ، وهي تردّد في ألم :

— إذن فهي (منى) .. هي الطفلة المتبناه .



اتسعت عينا (أشرف) في ذهول ، وارتجف قلبه ، وهو ينقل بصره ما بين (زينب) ، التي وقفت تبكي في انكسار ، و (سهام) التي انخرطت في بكاء حار ..

لم يستطع أن يصدق أذنيه ..

هتف قلبه : إنها خدعة ..

لا شك أنها خدعة ..

لا يمكن أن تكون (منى) هي الابنة المتبناه ..

إنه يعلم جيداً أن هذا خطأ ..

لا يمكن أن تخطيء قوانين الوراثة أبداً ..

لو أن (سهام) تحمل فصيلة الدم (أ ب) ، فن

المستحيل أن تكون ابنة الدكتور (صبرى) وزوجته ...

انتزعته (سهام) من لجة حيرته ودهشته ، حينما

أدارت إليه عينيها الدامعتين ، وقالت في ألم :

— هل كنت تعلم ذلك ؟

نغم في حيرة :

— (سهام) .. لأننى

تصورت تردده إيجاباً ، فاتسعت عيناها في دهشة ،

وهتفت :

— لماذا لم تخبرنى إذن ؟ .. لماذا تركتنى أتعذب

طيلة الوقت ؟ ..

ثم تحولت لهجتها إلى الصراخ ، وهى تكرر :

— لماذا لم تخبرنى ؟

أجابها صوت هادئ رصين :

— لأننى أنا طلبت منه ذلك يا (سهام) .

استدارت عيون الجميع إلى مصدر الصوت ..

إلى الدكتور (صبرى) ..

وهتفت (سهام) في دهشة :

— أنت يا أبى ؟ !

أشار الدكتور (صبرى) إلى (زينب) ، وقال فى

لهجة أمرة :

— اتركيها وحدنا يا (زينب) .

أسرعت (زينب) تغادر الحجرة ، وهي تخفي
عينها عن الدكتور (صبرى) في ندم وألم وخجل ،
وأغلقت الباب خلفها ، فكررت (سهام) سؤالها في ألم :
— أنت طلبت منه هذا يا أبى ؟

جاء صوته هادئاً رصيناً ، وهو يقول :
— نعم يا (سهام) .. لقد كشف (أشرف) حقيقة
الأمر بالمصادفة البحتة ، وخشيت أنا أن يخبرك بها ،
فتتغير مشاعرك نحو شقيقتك (منى) ، فطلبت منه أن
يعذنى بالألا يعاونك على التوصل للحقيقة .

اتسعت عينا (أشرف) دهشة ، وهتف في أعماقه :
— إذن فالأمر كله خدعة متقنة ، أعدتها الدكتور
(صبرى) في مهارة .. خدعة أراد بها أن يوهم ابنته
بتوصلها إلى الحقيقة ، ويعيد إليها الثقة فيه هو مرة
أخرى .

دارت هذه الأفكار في ذهنه ، وهو يستمع إلى
الدكتور (صبرى) ، الذى واصل حديثه في هدوء :
— ولقد حافظ (أشرف) على وعده برجولة

وشهامة ، وفضل اتهامك له بالخيانة على نقضه
وعده . وأنت تواصلين استفزاز وإهانة .

أدارت (سهام) عينها إلى (أشرف) في دهشة ،
ثم خفضتهما في ندم ، في حين استطرد والدها في هدوء :
— والآن أريد منك يا (سهام) أن تعدينى بالألا تعلم
(منى) الحقيقة أبداً .

اغرورقت عينها بالدموع ، وهي تتطلع إليه ،
وفتحت فمها ، وكأنها تهتم بالحديث ، ولكنها اندفعت
فجأة خارج الحجرة ، ودموعها تملأ وجهها ، في حين
ظل الدكتور (صبرى) و (أشرف) ثابتين ، دون أن يحاول
أحدهما منعها ، وخيم الصمت الثام على جوار الحجرة ، قبل
أن يتنحى (أشرف) ، وينغم في صوت خافت :
— هل تظن أنها ستصدق ذلك ؟

ترقرقت الدموع في عيني الدكتور (صبرى) ،
وهو يقول :

— نعم يا ولدى .. سيرسو مركبها أخيراً على
شاطئ الحقيقة .

نعم (أشرف) في تردد :

— الحقيقة ؟

خفض الدكتور (صبرى) عينيه ، ونغم في صوت
حزين :

— نعم يا بنى .. الحقيقة .

تطلع إليه (أشرف) لحظة في دهشة ، ثم اغتصب
ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

— نعم يا سيدى .. لقد كانت خدعتك متقنة هذه
المرة ، حتى أنها بدت تماماً كالحقيقة .

تھاوت دمة من عيني الدكتور (صبرى) ، لتستقر
على أرضية الحجر ، وهو يغمغم :

— لم تكن هناك ذرة واحدة من الخداع فيما ذكرته
(زينب) يا (أشرف) .

هتف (أشرف) في دهشة :

— ماذا ؟

ثم أردف في لهجة غاضبة حادة :

— هل تحاول أن تخدعنى أيضاً يا سيدى ؟ .. أنت

***** ١٥٠ *****

تعلم مثلى أن قوانين الوراثة لا يمكنها أن تخطئ ، وأن
(مهام) لا يمكنها أن تكون ابنتك .

نغم الدكتور (صبرى) في صوت كسير :

— إننى لم أقل العكس يا ولدى .

هتف (أشرف) في حدة :

— لماذا تحاول إقناعى إذن بأن ... ؟

ثم اتسعت عيناه في ذعر ، وبتر عبارته ، ليقول
في صوت متردد :

— لحظة .. هل تعنى أن ... ؟

انهمرت دموع الدكتور (صبرى) غزيرة ، وهو
يقول :

— نعم يا ولدى .. كلتاها ليست ابنتى .

تھاوى (أشرف) فوق مقعده من شدة المفاجأة ،
وهو يردد في ذهول :

— يا إلهى !! .. يا إلهى !!

١٧ - وانتهت الرحلة ..

عادت (سهام) إلى القبلا حزينة دامعة ، وتوقفت لحظة لتجفف دموعها ، قبل أن تعبر بوابتها ..

استعاد عقلها تفاصيل حديث (زينب) ، وحديث والدها ، وبكى قلبها بدموع خفية ، لها حرارة النار ، وحدة نصل سيف لامع ..

إذن فـ (منى) ليست شقيقتها ..

ليست ابنة (صبرى مختار) ..

شعرت بالندم لبحثها عن هذه الحقيقة ، التي آلمت قلبها إلى هذا الحد ..

شعرت بالشفقة نحو (منى) ، وبالحنان يغمر قلبها تجاهها ..

تذكرت حبها لها ، وعلاقتها الحميمة ، التي كثيراً ما تجاوزت حدود الأخوة إلى الصداقة غير المحدودة ، التي نادراً ما تتواجد في هذا العالم ..

كانت (منى) لها دوماً شقيقة حنوناً ، وأماً وعموماً ، وصديقة وفية مخلصه ..

***** ١٥٢ *****

تذكرت قول والدها ، وهو يطلب منها أن تعده بالألا تعلم (منى) السر ..

كيف يطلب منها ذلك ؟

كيف يتصور أنها قادرة على إيذاء قلب أحب الناس إليها ؟ ..

اندفعت إلى القبلا ، وقد انتابها حنان قوى ، وتدفقت في قلبها مشاعر حب صافية ، وهتف في لهفة :

- (منى) .. (منى) .. أين أنت ؟

جاءها صوت (منى) من الطابق العلوى :

- أنا هنا يا (سهام) .

قفزت درجات السلم في لهفة ، والثقت بـ (منى) أعلاه ، فأحاطتها بذراعيها في حنان ، وضمتها إلى صدرها في لهفة ، وهي تقول في حرارة :

- أنا أحبك يا (منى) .. أحبك حباً يفوق الوصف .

ضحكت (منى) في دهشة ، وقالت :

- وأنا أيضاً أحبك يا (سهام) ، ولكن ما مناسبة

هذا القول ؟

***** ١٥٣ *****

قبلتها (سهام) في حرارة ، وقالت دون أن تحاول
إخفاء الدموع ، التي سألت من عينيها الجميلتين :
— أنت لي نعم الشقيقة والصديقة .

تطلعت إليها (منى) في دهشة ، ثم ابتسمت ، وقالت :

— هل نجحت الخطة التي أشرت عليك بها ؟

سألتها (سهام) في دهشة :

— الخطة ١٩ .. أية خطة ؟

ابتسمت (منى) في مرح ، وقالت :

— خطة العودة لحب (أشرف) .. هل أقنعك مبرره ؟

أدهشها أن هتفت (سهام) :

— يا إلهي !! .. (أشرف) .

ثم أسرعته تهيئ في درجات السلم ، وتندفع إلى خارج

الفيلا ، وقبل أن تغادرها التفتت إلى (منى) ، وهتفت :

— أنا أحبك يا (منى) .

وقفت (منى) تتطلع إلى الباب الذي غادرته

(سهام) في دهشة ، ثم هبطت في درجات السلم ،

ووقفت أسفله تغغم :

***** ١٥٤ *****

— ماذا أصابها ؟ .. هل يورث الحب الجنون إلى
هذا الحد ؟

أناها صوت أمها الحنون ، وهي تقول :

— وأكثر من هذا يا بني .

التفتت (منى) إلى حيث تقف أمها ، فرأت وجهها

مبللا بالدموع ، وقسماته تتم عن حنان دافق ، فاقتربت

منها ، وسألتها في حيرة :

— ماذا أصابكم جميعاً ؟

ضمتها أمها إلى صدرها في حنان ، وقالت وهي

ترك الدموعها العنان :

— حفظكما الله .. سبحانه وتعالى .. لبعضكما

البعض شقيقتين محبتين يا بني . هذا أسعد أيام حياتي .

في نفس اللحظة كان (أشرف) يجلس مبهوئاً في

حجرة مكتب الدكتور (صبرى) ، الذي كان يقول

في خفوت :

— بعد عام من زواجنا — أنا وزوجتي — كشفت

لنا التحليلات المعملية أنها غير قادرة على الإنجاب أبداً ،

***** ١٥٥ *****

وكادت هذه الحقيقة تحطم زواجنا السعيد ، على الرغم من أنني لم أشر إليها أبداً ، إلا أنها كانت تبكي طوال الوقت ، وتطلب مني أن أتزوج بأخرى . حتى أحظى بالإنجاب . وكنت أنا أرفض ذلك في شدة ، حتى توفيت أم (منى) وهي تلدها ، ولفظت جدتها أنفاسها الأخيرة أمام باب حجرة الولادة .. عندئذ حملت (منى) إلى منزلي ، وعرضت على زوجتي أن نتبناها .

صمت لحظة ليلتقط أنفاسه ، ويحمد بعض انفعاله ، قبل أن يستطرد :

— ولقد بُجِئت زوجتي فرحاً بالفكرة ، وغمرت الصغيرة بحنانها الدافق ، وأسبغت عليها كل الحب الذي يمتلئ به قلبها ، في حين واصلت أنا البحث عن أسرة (منى) ، حتى كشفت أن والدها قد استشهد في حرب (يونيو) ، ولم أستطع العثور على عائلته أو عائلة أمها ، وهنا احتفظنا بـ (منى) ، واستعادت زوجتي سعادتها ، واسترجعت حياتنا الزوجية هناؤها ، ثم جاءت (سهام) من أم مجهولة ، قضت نحبا أيضاً في حجرة الولادة .

***** ١٥٦ *****

عاد إلى صمته مرة أخرى ، ثم أردف :

— ويبدو أننا كنا قد أدّمنّا تربية الأطفال ، ولم نبذل زوجتي جهداً كبيراً لإقناعي بتبنيها أيضاً ، فقد أحبتها منذ وقعت عيناي على محياها الصغير الرقيق .
تهدد في عمق ، وتابع :

— وكان التبنى كاملاً .. وستجد اسمي واسم زوجتي في خاتمي الأم والأب ، في شهادتي الميلاد ، وأقسمنا أنا وزوجتي على حفظ السر إلى الأبد ، حتى شاء القدر أن يكشفه .

ثم خفض رأسه مغمغماً :

— ولا أظن أننا قصرنا في رعايتهما .

نغم (أشرف) في دهشة :

— قصرتما ؟ !

ثم نهض ، ووضع يده على كف الدكتور (صبري) ، وهو يقول في حرارة :

— لقد كنتما رائعين .. لقد منحتهما حناناً وحباً قد لا يمنحهما والدان حقيقيان لأبنائهما .

***** ١٥٧ *****

اغرورقت عيننا الدكتور (صبرى) بالدموع ،
وهو يقول :

— أما زلت مصراً على الزواج بـ (سهام) ؟
هتف (أشرف) فى إخلاص :

— بل إنه ليشربنى ذلك يا سيدى .
ثم أردف فى حزن :

— أعنى لو وافقت هى على الزواج منى .
لم يكذبتم عبارته حتى ارتفعت طرقات على باب
المكتب ، فقال الدكتور (صبرى) :

— من بالباب ؟

فتحت (زينب) الباب ، وقالت وهى تبسم :

— هناك حالة عاجلة تحتاج إليك يا دكتور (أشرف) .
أسرع (أشرف) يلتقط سماعة الطب ، وهو يقول :

— سأذهب فوراً .

اجتاز حجرة الدكتور (صبرى) فى خطوات
سريعة ، وهو يسأل فى اهتمام :

— أى نوع من الحالات العاجلة هى ؟

***** ١٥٨ *****

أجابه صوت رقيق عذب :

— إنها حالة حب يا (أشرف) .

توقف بغتة ، وتطلع فى مزيج من الدهشة والفرح
إلى (سهام) ، التى خفضت وجهها الذى تضرع بحمرة
الحجل ، وهى تغغم فى حياء :

— ألا يتدرج هذا فى قائمة اختصاصك ؟

تألق الحنان والحب فى عينيه ، وهو يقول فى
صوت هامس :

— إنه فى أول القائمة .

جففت (زينب) دمعة مشفقة ، سالت على وجنتها ،
وقالت وهى تبعد :

— أعتقد أنه لديك العلاج المناسب يا دكتور
(أشرف) .

وقف كلاهما أمام الآخر صامتاً ، ثم همست
(سهام) :

— هل تغفر لى ؟

همس فى حرارة :

***** ١٥٩ *****

— لقد غفرت لك منذ زمن يا حبيبتى .
رفعت عينيها إليه في سعادة ، وقد تهلل محياها
كله بالبشر ، ومدّ هو كفه في هدوء ، واحتضن كفها
الرقيقة ، وقال هامساً في هيام :
— أنت تريدن نفس الثوب الوردى .
همست في خجل :
— وأحمل الحب نفسه .
تشابكت أصابع كفيهما ، وسرى الدفء في
جسديهما ، وتآلق الحب في عيونهما ..
لقد انتهت رحلة العذاب .. وبدأت رحلة الحب ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

المؤلف



السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

رحلة قليب

(سهام) و (منى) شقيقتان،
نحب كل منهما الأخرى جفاً يفرق
الوصف، وبتعمان بالعيش بين والديهما
في أمن وسلام، ثم يظهر (أشرف)، ويتفجر مع
ظهوره سر حرم الوالدان على إخفائه
طويلاً، وتبدأ رحلة البحث عن
الحقيقة.. رحلة قلب حائر..

الثمن في مصر
وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم